المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
التطوير التربوي

الأدبُ العَربي

للصّف الثاني الثانوي
الفصلْ الدّراسيُّ الأول
جميع الأقسام

تعديل

الأستاذ. حمود بن عبد الله السلامة
الأستاذ. أحمد بن سليمان المشعلي
الأستاذ . إبراهيم بن حسن الدريعي

١٤٢٧هـ - ١٤٢٨هـ
٢٠٠٦م - ٢٠٠٧م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السعودية ، وزارة التربية والتعليم
الأدب العربي : للصف الثاني الثانوي : الفصل الأول. ـط٣. الرياض
٩٢ ص؛ ٢١ × ٢٧سم
ردمك : ٢ - ١٨٤ - ١٩ - ٩٩٦٠ (مجموعة)
. - ١٨٥ - ١٩ - ٩٩٦٠ (ج١)
١ - الأدب العربي - كتب دراسية   ٢ - التعليم الثانوي - السعودية - كتب دراسية   أ - العنوان
ديوي ٠٧١٢ ، ٨١٠   ١٩ / ١٩٨٢

رقم الإيداع : ١٩٨٢ / ١٩
ردمك : ٢ - ١٨٤ - ١٩ - ٩٩٦٠ (مجموعة)
٠ - ١٨٥ - ١٩ - ٩٩٦٠ (ج ١)

أشرف على الإعداد والإنتاج

مركز التطوير التربوي

لهذا الكتاب قيمة مهمّة وفائدة كبيرة فلنحافظ عليه ولنجعل نظافته تشهد على حسن سلوكنا معه...

إذا لم نحتفظ بهذا الكتاب في مكتبتنا الخاصة في آخر العام للاستفادة فلنجعل مكتبة مدرستنا تحتفظ به...

موقع الوزارة
www.moe.gov.sa

موقع الإدارة العامة للمناهج
www.moe.gov.sa/curriculum/index.htm

البريد الإلكتروني للإدارة العامة للمناهج
curriculum@moe.gov.sa

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد :

فهذا كتاب الأدب العربي نصوصه وتاريخه للصف الثاني الثانوي ، وهو يتناول بالدراسة الميسَّرة والعرض الدقيق العصر الذهبي من عصور الأدب وهو العصر العباسي ، إضافة إلى دراسة الأدب الأندلسي ، ومن ثم عصر الدول المتتابعة .

وقد راعينا في تعديل هذا الكتاب ما سبق أن نهجناه في تعديل كتاب الصف الأول من السهولة والوضوح ، والدقة في العرض ، حيث أثبتنا فيه ما نرى أنه مناسب لمستوى الطالب والطالبة وقدراتهما ، وحاولنا قدر الإمكان تجنُّب التطويل المُملّ ، والتركيز على الإيجاز غير المُخِلّ.

ونحن نأمل – في تقديمنا لهذا الكتاب بهذه الصورة– أن نصل إلى هدف تربوي يركِّز عليه الباحثون في دراسة الأدب وفنونه ، ألا وهو تربية الحسّ الفني لدى الطالب والطالبة ، والتذوق الأدبي للنصوص الأدبية الذي من شأنه مساعدة الطالب والطالبة على التمييز بين الغثّ والسمين ، ولعلنا بهذا قد حققنا هدفاً سامياً نبيلاً .

المعدّلون

محتويـــات الكتـــاب

الموضوع	الصفحة

توزيع المقرر على أسابيع الفصل الدراسي

قسم العلوم الشرعية

الأسبوع	الموضوع
الأول	- العصر العباسي : الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية. اتصال الثقافة العربية بالثقافات الأجنبية . - الشعر في العصر العباسي : اتجاهات الشعر العباسي: الاتجاه القديم ، والاتجاه الجديد .
الثاني	- التجديد في الأغراض القديمة ، مع حفظ بيتين لأبي العتاهية يمدح هارون الرشيد .. وأربعة أبيات لكلثوم بن عمرو العتابي في وصف الكتب .
الثالث	- التجديد في منهج القصيدة . تعبير الشعر عن حياة الفرد. الصنعة الأسلوبية . الأوزان والقوافي .
الرابع	- تعدد اتجاهات الشعراء . الشعر في القرن السادس إلى نهاية العصر العباسي « مع حفظ قصيدة الحصري في الغزل » .
الخامس	- بشار بن برد يصف جيشاً «مع حفظ ثمانية أبيات من أول النص » .
السادس	- أبو العتاهية في الزهد« مع حفظ ثمانية أبيات من من أول النص».
السابع والثامن	- أبو تمام يمدح المعتصم «مع حفظ ثمانية أبيات من أول النص» .
التاسع	- ابن الرومي يرثي ولده.
العاشر	- من مقصورة ابن دريد.
الحادي عشر	- المتنبي يمدح سيف الدولة « مع حفظ عشرة أبيات من أول النص » .
الثاني عشر	- المعري يرثي فقيها.
الثالث عشر	- النثر في العصر العباسي – خطبة أبي جعفر المنصور « مع حفظ ستة أسطر من الخطبة » .
الرابع عشر	-وصف صديق لابن المقفع « مع حفظ سبعة أسطر من أول النص إلى قوله : شهوداً وعدولا » . - وصف الكتاب للجاحظ « مع حفظ سبعة أسطر من أول النص إلى قوله :« من أرباب الوديعة » .
الخامس عشر	- من كتابة ابن العميد « مع حفظ أربعة أسطر من أول النص إلى قوله : " ما يرعى لك" » . - المقامة البغدادية.

قسم العلوم الطبيعية

الأسبوع	الموضوع
الأول	- العصر العباسي : الحياة السياسية، الاجتماعية، الثقافية .
الثاني	- الشعر في العصر العباسي : اتجاهات الشعر في العصر العباسي . - الاتجاه القديم ، الاتجاه الجديد.
الثالث	- التجديد في الموضوعات القديمة : المديح ، الرثاء ، والهجاء .
الرابع	- الوصف والزهد – مع حفظ أبيات كلثوم من عمرو العتابي في وصف الكتب.
الخامس والسادس	- بشار بن برد يصف جيشاً «مع حفظ سبعة أبيات من أول النص».
السابع والثامن	-قصيدة ابن دريد«مع حفظ سبعة الأبيات الأخيرة».
التاسع والعاشر	- المتنبي يمدح سيف الدولة « مع حفظ ثمانية أبيات من أول النص» .
الحادي عشر	- النثر في العصر العباسي : ملامح عامة.
الثاني عشر	- أبرز فنون النثر .
الثالث عشر	- وصف الصديق لابن المقفع « مع حفظ النص كاملاً » .
الرابع عشر	- المقامة البغدادية لبديع الزمان.
الخامس عشر	- مراجعة عامة.

الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية

تمهيد :

قامت الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأُموية ، نتيجة الثورات المتواصلة التي أدت إلى ضَعْفها وسقوط آخر خلفاء بني أمية في معركة الزَّاب شمال العراق عام ١٣٢ من الهجرة ، وينتسب العباسيون إلى جدِّهم العباس بن عبد المطلب عمِّ النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد عاشت الدولة العباسية ما يزيد على خمسة قرون ، فقد قامت سنة ١٣٢ هـ وانتهت عندما قضى عليها المغول حين سقطت بغداد عاصمة الخلافة سنة ٦٥٦هـ .

١- الحياة السياسية :

برزت في الجانب السياسي في هذا العصر بعض الأحداث ومنها :

١- صارت بغداد عاصمة الدولة العباسية بدلاً من دمشق ، وازدهرت الحياة فيها ، وصار يَؤُمُّها الناس في كل مكان .

٢- غلب الطابع الفارسي على الدولة العباسية ، على النقيض مما كان في الدولة الأموية إذ كان طابع الخلافة الأموية عربيًّا خالصاً . وقد أخذ العباسيون عن الفرس نظام الوزارة ، وقلّدوهم في كثير من أنظمة الحكم حتى في الزِّي والملبس . كما ظهر ذلك في أزياء رجال الحاشية والقضاة والموظفين وغيرهم .

٣- تميَّز العصر العباسي – وخاصة في النصف الثاني منه – بالتفكُّك والانقسام وتعدُّد الدُّوَيْلات

كالحمدانية في الشام ، والفاطمية في مصر ، والبويهية في العراق ، والسامانية في فارس .

٤- ظهر في هذا العصر عدة ثورات وفتن كفتنة القرامطة قُتِل فيها خلق كثير ، وجرَّد الخلفاء ضدهم الحملات القمعية ، وحاربوهم بالسيف واللسان والقلم ، حتى أظهروا فساد معتقداتهم .

٥- حدث تحوُّل خطير في الدولة العباسية ، عندما ضعف العنصر الفارسي وحلّ محله العنصر التركي ، وذلك في بداية حكم المعتصم الذي تولى الخلافة بعد الخليفة المأمون سنة ٢١٨هـ ، وكانت تلك السنة بداية لما اصْطُلح على تسميته بالعصر العباسي الثاني .

٢- الحياة الاجتماعية :

كانت الحياة الاجتماعية في العصر العباسي بشكل عام حياةَ ترف ونعيم ، ويكاد الأمر كله يشمل جميع طبقات المجتمع كلٌ بحسب طبقته .

ولقد برزت في العصر العباسي عدة مظاهر تتمثل في :

١- ظهور طبقتين متغايرتين في المجتمع : طبقة تنعم بالرخاء وسعة العيش ، وأخرى تجد صعوبة في حياتها اليومية .

٢- ازدياد حركة العمران ، من بناء القصور الفاخرة ، والمساجد الفخمة ، وتزيين العاصمة زينة لم تَلْقها مدينة أخرى .

٣- شيوع كثير من مظاهر اللهو والترف مثل : الشطرنج ، والنرد، وصيد الغزلان والطيور، ومشاهدة القرَّادين ، وازدهر الغناء ، وكثر الموسيقيون ، وتطورت آلاتهم وألحانهم.

٤- ازدياد الشُّعُوبيَّة التي لم تعد المفاضلة فيها بين العرب والفرس ، بل تعدَّى ذلك إلى المفاضلة بين العرب وغيرهم من أبناء الشعوب الأخرى .

٥-انتشار المجون والانحلال والزندقة؛ بسبب اختلاط العرب بغيرهم من أبناء الأمم الأخرى .

مع ذلك لم يكن المجتمع كله لهو وترف ، فقد كان المجتمع مجتمعاً إسلامياً وكانت الغالبية فيه مقيمة على الإسلام متمسكة بفرائضه ، وسننه وشعائره ، فكانت ساخطة على مظاهر اللهو والترف والشعوبية والزندقة .

٣- الحياة الثقافية :

لقد نشطت العلوم في العصر العباسي نشاطاً كبيراً على النحو التالي :

١- أخذت اللغة العربية نصيباً من اهتمام العلماء ، لكونها لغة الدين ، ويتوقف فهم الدين على الإلمام بها . وكان الفرس المسلمون أكثر الناس اهتماماً باللغة العربية وفهم أسرارها ، حتى نبغ منهم خلق كثير ، خاصة أن المناصب العُليا في الدولة مثل منصب الوزارة ، كان لا يصل إليه إلا العالم باللغة والمتأدب بآدابها . وكان الفرس حريصين على تلك المناصب ، حتى إنه نبغ منهم آخر العصر الأموي كتاب كانوا روّاداً للنثر الفني العربي ، مثل عبد الحميد الكاتب .

وقد عُني علماء اللغة في البصرة والكوفة بجمع ألفاظ اللغة وأشعار العرب في الجاهلية والإسلام؛ لحاجة الشعوب المسلمة غير العربية إلى إتقان لغة الدين ، وليقاوموا ظاهرة شيوع اللَّحْن على ألسنة المستعربين.

ولم يكن العلماء أقل اهتماماً بعلم النحو من علوم اللغة الأخرى ، وقد برز فيه الخليل بن أحمد، الذي وضع أُسُسَه ، ثم أدَّاه عنه تلميذه سيبويه في كتاب (الكتاب) وهو من أعظم سمات رقي العقل العربي .

٢- أما في مجال العلوم الدينية فقد وُجِد من العلماء من نذروا حياتهم لخدمة الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم ، ومن هؤلاء العلماء الأجلاء في علم التفسير :سُفْيان بن عُيَينة ، وكذلك تأسسَت المذاهب الفقهيّة: مذهب الإمام أبي حنيفة ، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل ، وفي الحديث أُلِّــفَت كتب الصحاح الستة المشهورة.

٣- أما بالنسبة لعلم التاريخ فقد ارتبط أساساً بسيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وانضمَّت إليه مادة من تاريخ الرسل ، وكان جزء من الاهتمام بالكتابة التاريخية قد ارتبط بجمع الأشعار ورواتها لمعرفة تاريخ العرب الجاهلي والإسلامي، وتاريخ الأمم المجاورة للجزيرة العربية وخاصة الفرس.

وكانت السيرة النبوية مبثوثة فيما يُروى من الأحاديث ، فأخذ كثيرون يستخلصونها منها، وعنوا بالقصص عن الأنبياء والرسل ؛ لتوضيح جانب من القصص القرآني ، للوعظ والتذكير باليوم الآخر.

٤- وقد نهضت العلوم الأخرى في هذا العصر بتأثير الترجمات الكثيرة ، وبظهور مجموعة

من العلماء النابهين في كل فرع ، وفي كل تخصص . في الجغرافيا ، والفلك ، والطب ، والكيمياء ، والرياضيات ، وغيرها مما لا نطيل في تفصيله .

٥- وعلى الرغم من أن الدولة العباسية قد أخذت في الضعف بالتدريج إلا أن الحياة الثقافية والأدبية قد نشطت نشاطاً كبيراً ، فما زال المعلمون يؤدُّون دورهم ، والمساجد تزْخر بطلاب العلم ، وقد خصَّصت الدولة رواتب للمعلمين حسب المكانة العلمية لكل واحد منهم ، فهذا الزجَّاج تلميذ المُبرِّد يجعل له الخليفة المعتضد راتباً في الفقهاء، وراتباً في العُلماء ، وراتباً في الندماء ، فبلغ راتبه من الدولة ثلاث مئة دينار شهرياً .

٦- لم تَعُدْ بغداد وحدها مركز العلم والأدب ، بل أصبحت حلب والقاهرة والقيروان وغيرها مراكزَ للعلم والأدب ، وكان تعدد الإمارات المستقلة وتنافس حكامها في جذب ذوي العقول والمواهب للإقامة والتعليم فيها سبباً لذلك .

اتِّصال الثقافة العربية بالثقافات الأجنبية :

كان من أهم الأسباب التي أدَّت إلى ازدهار الحركتين العلمية والأدبية في هذا العصر ، الاتصالُ الخصبُ المثمر بين الثقافة العربية الخالصة وثقافات الأمم الأخرى ، وما طُوي فيها من معارف وعلوم . وكان هذا الاتصال يتم عن طريقين : طريق المشافهة مع المُسْتعْرِبين ، وطريق النقل والترجمة ، وكان الطريقُ الثاني هو الأكثر تأثيراً في تاريخ الثقافة العربية في العصر العباسي ، وأهم تلك الثقافات هي اليونانية والفارسية والهندية .

وقد كانَ الخلفاء العباسيون منذ فاتحة هذا العصر يُعْنَون بالنقل عناية شديدة ، وينفقون عليه الأموال الطائلة ، وكان الخليفة المنصور أولَ من شجَّع على الترجمة ، حيث نقلت في عهده كتب كثيرة في الفلك والهندسة والحساب والمنطق والطب .

وتنشط الترجمة في عصر الرشيد ووزرائه البرامكة نشاطاً واسعاً ، وقد أذكى جذوتها حينئذ إنشاء « دار الحكمة »، وهي دار عامة للكتب وُظِّف فيها عدد كبير من المترجمين .

وتبلغ هذه الموجة الجارفة للترجمة قِمّتها في عهد المأمون ، إذ حوَّل « دار الحكمة » إلى ما يشبه معهداً علمياً كبيراً ، وأرسل البعوث إلى بلاد الروم؛ لجلب أنفس ما في خزائنها من كتب لترجمتها إلى العربية.

وقد كان لاتصال الثقافة العربية بتلك الثقافات الأجنبية آثارٌ إيجابيَّة وأخرى سلبيّة ، وخاصة فيما يتعلق بالفلسفة والمنطق وبعض النظريات والأفكار التي لا تتفق مع الدين .

مناقشة

١- ما المقصودُ بالعصر العباسي ؟ ولم سُمِّي بهذا الاسم ؟

٢- يُقَسِّم بعض المؤرخين العصر العباسي إلى قسمين . أذكرهما ، مع بيان الأساس الذي اعتمدوا عليه في هذا التقسيم .

٣- أتحدَّث بإيجاز عن الحياة السياسية في العصر العباسي .

٤- ما أبرز مظاهر الحياة الاجتماعية في العصر العباسي ؟ وكيف كان المجتمع في طابعه العام؟

٥- ما الأسباب التي أدَّت إلى قيام بعض العلماء بجمع ألفاظ اللغة وأشعار العرب؟ ومَنْ أبرز أولئك العلماء ؟

٦- ما أبرز الجهود التي قامت في علمي الفقه والحديث في العصر العباسي ؟

٧- ممَّ استمدَّ علم التاريخ مادته في العصر العباسي ؟ومن أين كان المؤرخون يستقون معلوماتِهم التاريخية؟

٨- أتحدَّث عن جهود الخلفاء العباسيين ووزرائهم في الحركة الفكرية .

٩- كان اتصال الثقافة العربية بالثقافات الأجنبية من أهم أسباب ازدهار الحركتين العلمية والأدبية. فما أهم تلك الثقافات ؟ وما الطرق التي كان يتم بها هذا ؟

الشعر في العصر العباسي *

ازدهر الشعر وبلغ أوج عظمته في العصر العباسي ، وبخاصة في النصف الأول منه ، فقد كان الخلفاء والوزراء يشجّعون الشعراء ويمنحونهم العطايا والهِبَات ، وكان لاختلاط العرب بالأمم الأخرى، ونقل ثقافاتهم إلى العربية دور كبير في دخول أساليب جديدة في الشعر العربي .

اتجاهات الشعر في العصر العباسي

بدأ العصر العباسي بظهور اتجاهين شعريين متباينين : الأول ينهج نَهْج القدماء ويسلك طريقتهم، والثاني يحاول الظهور بنهج شعري جديد مختلف يُعبِّر عن عصره ومشاعر أصحابه .

أولاً: الاتجاه القديم :

ونعني به المحافظة على طريقة القدماء في نَظْم الشعر ، حيث يقوم الشاعر بنظم قصيدته بلغة وصور مستمدّة من النموذج الجاهلي القديم ، محاكياً إياه محاكاة تامة .

وقد كان لعلماء اللغة تأثير في دفع الشعراء إلى النظم على طريقة القدماء ، فقد جمعوا لهم اللغة والشعر الجاهلي والإسلامي ، ووضعوا لهم قواعد يسيرون عليها ، وكأنهم بهذا الصنيع يريدون من الشعراء ألا يحيدوا عن ذلك النهج ، بل إِنهم ظلُّوا طوال العصر يبعثون فيهم الإيمان بأن الشعر القديم هو القدوة المُثلى؛ ولعلّ هذا ما دعاهم إلى أن يُسْقِطوا كثيراً من شعر المُحْدَثين لا لسبب إلا لكونه جديداً ، بل خرج عن المثل الشعري القديم الذي يتمسك به اللغويون تمسكاً شديداً .

ولم يكن الباعث على تلك المحافظة لغويًّا فحسب بل دينيًّا أيضاً ، فقد خاف علماء الدين وعلماء اللغة معاً أن تَسْتَغْلق دلالات ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف على أفهام الناس؛ وخاصة أن كثيراً منهم كانوا حديثي عهد بالدين الإسلامي واللغة العربية .

* يراعى التعرض لمناقشة كل موضوع بعد الانتهاء منه مباشرة.

كذلك وقف الخلفاء العباسيون موقف علماء الدين واللغة ، فقد حثّوا العلماء على دراسة العربية والتعمُّق فيها ، وكانوا لا يَسْتَوزِرون ولا يستكتبون إلا من حذقها ، وقد كان كبار اللغويين أساتذة لمعظم الخلفاء العباسيين ، وكان هؤلاء الأساتذة يَمْثلون أمام الخلفاء حين يمدحهم الشعراء ، فكان لابدَّ للشعراء أن يَروقُوهم حتى ينالوا استحسانهم ، ويرى الخلفاء ذلك منهم فيجزلوا للشعراء العطاء .

لذا بدأ هذا العصر بظهور طائفة من الشعراء تحتذي النموذج القديم من الشعر ، وتنتهج نهج قصائده من الشعراء ذوي السليقة الفطْرية الشعرية ، الذين استمرت البَادية تمدُّ بهم الحاضرةَ كابن الدُّمَيْنة ، وابن ميَّادة ، وأبي حيَّة النُّميري ، وغيرهم .

يقول ابنُ الدُّمَيْنةِ من قصيدةٍ يَحِنُّ فيها إلى موطنه نجد :

أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَى هِجْتِ مِنْ نَجْدِ ... لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكِ وَجداً عَلَى وَجْدِ[1]
أَإِنْ هَتَفَتْ وَرْقَاءُ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى ... عَلَى فَنَنٍ غَضِّ النَّبَاتِ مِنَ الرَّنْدِ[2]
بَكَيْتَ كَمَا يَبْكِي الوَلِيدُ وَلَمْ تَكُنْ ... جَلِيداً وَأَبْدَيْتَ الذِي لَمْ تَكُنْ تُبْدِي
وَحَنَّتْ قَلُوصِي مِنْ عَدَانَ إِلَى نَجْدِ ... وَلَمْ يُنْسِهَا أَوْطَانَهَا قِدَمُ العَهْدِ[3]
إِذَا شِئْتَ لَاقَيْتُ القِلَاصَ وَلَا أَرَى ... لِقَوْمِيَ أَشْبَاهاً فَيَأْلَفُهُمْ وُدِّي[4]

بل إن بعض الشعراء الذين حملوا شعلة التجديد كانوا يتكلَّفون الأسلوب الأعرابي في مدحهم للخلفاء ، فهذا بشار بن بُرْدٍ – مثلاً – ينظم شعره ، فيبدؤه بمقدمة طللية ، يتذكّر فيها ديار الأحبة بلغة وصور مستمدة من الشعر القديم . نستمع إليه وهو يصف ناقته التي يقطع بها الصحراء ويشبهها بالحمار الوحشي على طريقة القدماء ، فيقول :

---

(١) الصبا : ريح تهب من الشرق . هجت : هاجت الريح : هبَّت . مسراك : هبوبك ليلا . وجداً: حزناً .
(٢) ورقاء : حمامة . رونق الضحى : إشراقه وحسنه . فنن : غصن . الرند : شجر طيب الرائحة .
(٣) القلوص : الناقة . عدان : ساحل البحر .
(٤) أي إني أرى شبيهاً لما في نجد من الإبل ، ولكني لا أرى لقومي شبيهاً في بلاد الغربة فآلفهم .

وَلَـيْلٍ دَجُـوجِـيٍّ تَـنَـامُ بَنَـاتُهُ   وأبْـنَـاؤهُ مِـنْ هَـوْلِهِ وَرَبَائِبُهْ(١)
حَمَيْتُ بِهِ عَيْنِي وَعَيْنَ مَطِـيَّتِـي   لَذِيذَ الكَرَى حتَّى تَجلَّتْ عَصَائِبُهْ(٢)
ومَاءٍ تَـرَى رِيشَ الغَطَاطِ بِجَوِّهِ   خَـفِيٍّ الحَيَـا ما إنْ تَبِينُ نَصَائِبُهْ(٣)
قَـرِيبٍ مِنَ التَّغْرِيرِ نَاءٍ عَنِ القُرَى   سَقَانِي بِهِ مُسْتَعْمِلُ اللَّيْلِ دَائِبُهْ(٤)
حَـلِيفُ السُّرَى لا يَلْتَوِي بِمَفَازَةٍ   نَسَاهُ وَلا تَعْتَلُّ مِنْهَا حَوَالِبُهْ(٥)
أمَـقُّ غُـرَيْـرِيٌّ كَـأَنَّ قُتُـودَهُ   على مُثْلَثٍ يَدْمَى مِنَ الحُقْبِ حَاجِبُهْ(٦)

ولم يكن بشار وحده ممن يسير على النهج القديم في بعض قصائده ، فهذا أبو نواس أحد المولدين المجددين يَنْظِم بنفس الأسلوب فيقول مادحاً وواصفاً ركوبه ورحيله إلى الممدوح :

عَسَـفْتُهَا عَـلَى خَـطَـرْ   وغَـرَرٍ مِـنَ الـغَـرَرْ(٧)
بِـبَـازِلٍ حِـينَ فَـطَـرْ   يَـهُـزُّهُ جِـنُّ الأشَـرْ(٨)
لا مُـتَـشَكٍّ مِـنْ سَـدَرْ   ولا قَـرِيـبٍ مِـنْ خَوَرْ(٩)

ويمكن القول إن قوة التيار القديم قد اتخذت في هذا العصر مظهرين :

الأول : خضوع أغلب الشعراء لهذا التيار ، وخاصة في شعر المدح .

الثاني : وجود شعراء لم تكن لهم صلة قوية بالحواضر ، فمعظمهم من البدو الرُّحَّل الذين يعيشون معظم حياتهم داخل الصحراء بعيدين عن الحركات الثقافية ومراكز الحياة العقلية النشطة في بغداد والكوفة والبصرة .

---

(١) الدجوجي : شديد الظلمة . بنات الليل وأبناؤه : الذين يسهرون فيه عادةً . ربائبه : جمع ربيبة وهي المرأة التي اعتادت السهر ليلاً ولكنها في الليل الدجوجي لم تستطع السهر.

(٢) حميت : منعت . الكرى : النوم . العصائب : الجماعات ويقصد ظلمات الليل . وتجلت عصائبه : كناية عن انبلاج الصباح .

(٣) الغطاط : القطا . الحيا : الخصب . النصائب : جمع نصيبة وهي حجارة تُنصب حول الحوض.

(٤) التغرير : الهلاك . ناء : بعيد . مستعمل الليل . يقصد ناقته .

(٥) السرى : السير ليلاً . مفازة : صحراء . نساه : النسا : عرق من الورك إلى الكعب . حوالبه : الحوالب : عرقان يكتنفان السرة إلى البطن .

(٦) أمق : طويل . غريري : منسوب إلى فحل بهذا الاسم . القتود : خشب الرَّحْلِ . المثلث : من له أتن وهي إناث الحمير . الحقب : حمار الوحش .

(٧) العسف : الأخذ على غير الطريق . الغرر : الهلاك .

(٨) البازل : الجمل الذي طلع نابه . فطر . بدأ . جن الأشر : عنفوان النشاط .

(٩) السَّدَر : تحيُّز النظر من شدة الحر والتعب . الخَوَر : الضعف.

ثانياً : الاتجاه الجديد :

ظهر الشعراء المجددون (المولَّدون) في بداية العصر العباسي بنهج شعري جديد ، وثقافة واسِعَة ، ورغبة في التعبير عن عصرهم ومشاعرهم ، وكانت الحضارة التي يعيشونها ، والازدهار العلمي والرقي الفكري دافعاً لهم إلى البحث عن الجديد في موضوعات الشعر وأسلوبه . وقد غلب التيار على الشعر في العصر العباسي إذا قارناه بالتيار القديم ، ومنذ بداية هذا العصر نجد بشار بن برد وأبا نواس وأبا العتاهية ، ومسلم بن الوليد وأبا تمام وغيرهم يحاولون هذا الجديد ، وإذا كان النقاد اللغويون قد وقفوا ضِدَّ هذا الاتجاه فقد ظهرت طبقة من النقاد شجَّعته ووقفت إلى جانبه .

وعلى هذا النحو دفع التحضرُ شعراء العصر العباسي إلى استحداث أسلوب مولَّد جديد، وهو أسلوب يعتمد على الألفاظ الواسطة بين لغة البدو الزاخرة بالكلمات الوحشية ، ولغة العامة الزاخرة بالكلمات المبتذلة ،أسلوب وسط بين الغرابة والابتذال ، يحافظ على مادة اللغة ومقوِّماتها التصريفية والنحوية ، ويلائم بينها وبين حياة العباسيين المتحضرة .

وبشار في طليعة من أَرْسَوا هذا الأسلوب المولد الجديد ، وأسلوبه يتميز بالرصانة والصفاء والرونق . وتلاه جيل من الشعراء ، توزعوا بين من يُؤْثرون الجزالة وقوة البناء ، مثل مسلم بن الوليد وأبي تمام ، ومن يؤثرون الليونة والسهولة ، مثل أبي العتاهية وأبي نواس عدا شعره الرسمي (شعر المديح) ، فكان يحتفظ فيه بكل ما يمكن من الجزالة .

مظاهر التجديد في الشعر العباسي

(أ) التجديد في الأغراض القديـمة :

ظلّ العباسيون يَنْظِمون في الأغراض القديمة التي كان ينظم فيها الجاهليون والإسلاميون ، ومع التقدم العقلي الخصب ، والذوق المتحضرِّ المُرْهَف ، سار التجديد في الشعر العباسي .

وأبرز الأغراض التي جدّد فيها العباسيون :

١ – المدح :

كان الشاعر الجاهلي والإسلامي يرسم في ممدوحه المثالية الخُلُقية الرفيعة التي تقدِّرها الجماعة ، وقد مضى الشعراء العباسيون في مديح الخلفاء والولاة على هذا الرسم ، مضيفين إلى هذه المثالية مثالية الحكم ، وما ينبغي أن يقوم عليه من الأخذ بدستور الشريعة وتقوى الله والعدالة . يقول أبو العتاهية في الخليفة هارون الرشيد:

وراعٍ يُراعي اللَّهَ في حِفْظِ أُمَّةٍ ... يُدافِعُ عَنْها الشَّرَّ غَيْرَ رَقُود
تجافَى عَنِ الدُّنْيا وأيْقَنَ أنَّها ... مُفارِقَةٌ لَيْسَتْ بِدارِ خُلُودِ

وربما غلا الشاعر المادح ذلك الغُلُوَّ غير المقبول ، الذي لا تجده في القديم ، وبالصورة التي يقول فيها أبو نواس :

وأخَفْتَ أهْلَ الشِّرْكِ حَتَّى إنَّهُ ... لَتَخافُكَ النُّطَفُ التي لَمْ تُخلَقِ

ولم يقتصر المديح على تلك المعاني والصور الجديدة ، فإذا كان القدماء قد اختاروا الأوزان الطويلة ، والموسيقا ذات الإيقاعات القوية ، واللغة المختارة ،فإن الشعراء المجدِّدين قد قلبوا الوضع وأتوا بعكس ما هو مألوف من رقّةٍ في الأسلوب ، وخفّةٍ في اللحن ، وبساطة في التصوير ، كقول

سَلْم الخاسر في مدح الخليفة الهادي :

مُوسَى المَطَرْ غَيْثٌ بَكَرْ ... ثُمَّ انْهَمَرْ أَلْوَى المِرَرْ
كَمِ اعْتَسَرْ وكَمْ قَدَرْ ... ثُمَّ غَفَرْ عَدْلُ السِّيَرْ

ولم يقتصر المديح على الرجال ، بل عداه إلى مدح المدن المحبَّبة إلى قلوب ساكنيها ، وهو فنّ يزدهر في الأندلس أيضاً . يقول عمارة بن عقيل في مدح بغداد :

أعَايَنْتَ فِي طُولٍ مِنَ الأَرْضِ والعَرْضِ ... كَبَغْدَادَ داراً إنَّهَا جَنَّةُ الأَرْضِ
صَفَا العَيْشُ فِي بَغْدَادَ واخْضَرَّ عُودُهُ ... وعَيْشُ سِوَاهَا غَيْرُ صَافٍ ولا غضّ

٢- الهجاء :

لقد حاول الشعراء العباسيون أن يجدِّدوا في غرض تقليدي آخر ، وهو الهجاء ، ويمكن تمييز لونين منه : هجاء سياسي ، وهجاء شخصي . وقد امتاز اللونان معاً بالسخرية الشديدة والإيذاء المؤلم. كما امتاز الهجاء بأنه أصبح شعر مقطوعات قصيرة ، وليست قصائد مطولة كالتي يتطلبها المديح أو كما كان الهجاء في العصور القديمة. ولم يعد الهجاء القَبَلِي كما رأينا في شعر النقائض في العصر الأموي أساساً لموضوع الهجاء ، بل مال إلى الشعبية والهزل . وقد شاع الهجاء السياسي في الخلاف الذي وقع بين الخليفتين الأمين والمأمون وانتهى بقتل أولهما . يقول أحد الشعراء من أبيات له في هجاء الأمين :

لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ ما حدُّ الرِّضَا ... لاَ ولاَ تَعْرِفُ مَا حَدُّ الغَضَبْ
لَمْ تَكُنْ تَصْلُحُ لِلْمُلْكِ وَلَمْ ... تُعْطِكَ الطَّاعَةَ بِالْمُلْكِ العَرَبْ

ومن الهجاء الساخر يقول أبو تمام في وصف بخيل :

قَدْ كَانَ يُعْجِبُنِي لَوْ أَنَّ غَيْرَتَهُ ... عَلَى جَرَاذِقِهِ كَانَتْ عَلَى حُرَمِهْ[1]

(١) الجراذق : جمع جرذق وهو الرغيف .

إن رُمْتَ قَتْلَتَهُ فَافْتِكْ بِخُبْزَتِهِ ... فإنَّ مَوْقِعَهَا من لَحمِهِ وَدَمِهْ

وقد ظهر من هذا الهجاء الساخر لون يعتمد على توليد المعاني واستقصائها ، مثال ذلك قول بشار في رجل ثقيل يُسمَّى أبا سفيان :

رُبما يَثْقُلُ الجَلِيسُ وإنْ كَا ... نَ خَفِيفاً فِي كَفَّةِ الميزَانِ
كَيْفَ لا تَحْمِلُ الأَمَانَةَ أَرْضٌ ... حَمَلَتْ فَوْقَهَا أَبَا سُفْيَانِ

وكما مدح الشعراء المدن هجوها أيضاً . وذلك حسب انطباع وخبرة كل واحد منهم بها . فهذا ابن أبي الزوائد أحد شعراء المدينة ، كان قد زار بغداد زمن الخليفة المهدي ، فقال فيها هاجياً .

يابنَ يَحْيَى مَاذَا بَدَا لَكَ مَاذَا ... أَمُقَامٌ أمْ قد عَزَمْتَ الحِيَاذَا؟(١)
فَالبَرَاغِيثُ قَدْ تَثُورُ مِنْهَا ... سَامِرٌ ما تَلُوذُ مِنْهُ مَلَاذَا
فَنَحُكُّ الجُلُودَ طَوْراً فَتَدْمَى ... ونَحُكُّ الصُّدُورَ والأَفْخَاذَا
فَسَقَى اللَّهُ طَيْبَةَ الوَبْلَ سَحّاً ... وسَقَى الكَرْخَ والصَّرَاةَ الرَّذَاذَا(٢)

٣- الرثاء :

إذا كانت الدوافع الدينية أو الإنسانية الصادقة هي التي تحفز الشعراء إلى الرثاء ، فإنهم في هذا العصر أخذوا يرثون لدوافع أخرى كالفكاهة مثلاً . ولا شك أن إخراج الرثاء مخرج الفكاهة يُعَدُّ شيئاً جديداً في الشعر العباسي ، فهذا أحمد بن أبي كريمة يرثي قميصاً له أغار عليه فأر فقرضه ، يقول :

مَا إنْ تَمَلَّيْتُهُ حتَّى أُتيحَ لَهُ ... خَفيٌّ دَبٍّ لَطِيفُ الخَطْمِ والأذنِ(٣)
قَدْ صِرْتُ نَهْبَ هُمُومٍ مُذْ أُصِبْتُ بِهِ ... حَلِيفَ حُزْنٍ من البَأْسَاءِ والعَطَنِ(٤)

(١) الحياذا : التنحي .
(٢) طيبة : يقصد المدينة . سحاً : متتابعاً . الكرخ والصراة : موضعان ببغداد .
(٣) تمليته : متعت نفسي بتأمله والنظر إليه . الخطم : مقدم الأنف أو الفم .
(٤) العطن : كلمة أرادها الشاعر مرادفة لما قبلها .

وإذا كان الشعراء مدحوا المدن وهجوها فقد رثوها أيضاً ، وكانت نكبة بغداد أيام الفتنة بين الأمين والمأمون هي الحادثة التي أثارت خيال الشعراء وحرّكت عواطفهم ، فقد احترقت قصورها ، وحُرقت حدائقها ، وخُربت طرقها ،وقُتِل أهلها ، وهُجِرَت مساجدها إلى أن تولى المأمون الخلافة وبدأ في إعادة الحياة إليها ، وتبعه في ذلك الخلفاء من بعده . يقول عبد الملك الورّاق راثياً مدينته :

مَنْ ذَا أَصَابَكِ يَا بَغْدَادُ بِالعَيْنْ	أَلَمْ تَكُونِي زَمَاناً قُرَّةَ العَيْنِ
أَلَمْ يَكُنْ فيكِ قومٌ كَانَ مَسْكَنُهُم	وكَانَ قُرْبُهُمُ زَيْناً مِنَ الزَّيْنِ
صَاحَ الغُرَابُ بِهِمْ بالبَيْنِ فَافْتَرَقُوا	مَاذَا لَقِيتِ بِهِمْ مِنْ لَوْعَةِ البَيْنْ[1]

٤- الوصف :

لقد شغل الوصف في الأدب الجاهلي والإسلامي معظم قصائد الشعراء في تصويرهم لمظاهر الطبيعة حيَّة وجامدة ، غير أن الشعراء العباسيين اهتموا بتصوير الجانب المادي من الحضارة الجديدة . يقول علي بن الجَهْم يصف قصراً به نافورة :

وقُبَّةِ مُلْكٍ كَأَنَّ النُّجُو	مَ تُصْغِي إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا
وفَوَّارةٍ ثَأْرُهَا في السَّمَاءِ	فَلَيْسَتْ تُقَصِّرُ عَنْ ثَارِهَا
تَرُدُّ عَلَى المُزْنِ مَا أَنْزَلَتْ	إِلى الأَرْضِ مِنْ صَوْبِ مِدْرَارِهَا[2]

ويقول إبراهيم بن المهدي في وصف زهر النَّرْجس :

ثَلاثُ عُيُونٍ مِنَ النَّرْجِسِ	عَلَى قَائمٍ أَخْضَرٍ أَمْلَسِ
يُذَكِّرْنني طِيبَ رَيَّا الحَبِيـ	ـبِ فَيَمْنَعْنَنِي لَذَّةَ المجلِسِ

لقد تعدّدت الموضوعات الوصفية ، فشملت جميع مظاهر الحياة عند العباسيين ، حتى إننا نرى الشعراء يسجّلون الحياة داخل البيوت والقصور ، وما فيها من وسائل اللهو والتسلية ، بل إنهم

---

(١) البين :الفراق.

(٢) المزن : السحاب .

يَصِفون وسائل الثقافة في عصرهم وأدواتها ، فيصفون الكتب والخطوط والأقلام . يقول كلثوم بن عمرو العتَّابي في وصف الكتب :

لَـنَا نُـدَمَـاءُ مَـا نُمَلُّ حَـدِيثَهُمْ ... أَمِـينُون مَـأمُونُونَ غَـيْباً وَمَـشْهَدَا
يُـفِيدُونَنَا مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَا مَضَى ... وَرَأيـاً وتَـأدِيـباً وَأمْـراً مُسَدَّدَا
بِـلا عِـلَّةٍ تُـخْشَى ولا خَـوْفِ رِيـبَةٍ ... ولاَ نَـتَّقِي مِـنْـهُمْ بَـنَاناً ولا يَـدَا
فَـإنْ قُـلْتُ هُمْ أَحْيَاءُ لَسْتُ بِكَاذِبٍ ... وإنْ قُـلْتُ هُمْ مَوتَى فَلَسْتُ مُفَنَّدَا(١)

٥- الزهد :

لقي شعر الزهد في العصر العباسي اهتماماً كبيراً وشُغف الناس بقراءة قصائده وإنشادها ، وكانت محاولات التجديد فيه أكثر شمولاً وتأثيراً .

لم يَعُد الزهد كما كان في العصر الإسلامي والعصر الأموي مجرَّد مَيْل فِطْري إلى الزهادة وتقوى الله ، أو حالة من حالات الإيمان يصوِّرها الشاعر ، بل أصبح فكرة يعتنقها ، وتَتَغَلْغَلُ في نفسه وقلبه ، ويتلبَّس بها شعره ، ولا يكاد يصور سواها من المشاعر والأحاسيس أو من الصور التي يقع عليها بصره .

ولم تكن دوافع الزهد في هذا العصر دوافع دينية فحسب ، حقيقة كان الدافع الديني أساساً فيها ، ولكن إلى جانب ذلك أصبح يمثل حركة مضادةً لبعض مظاهر المجون والزندقة ، التي شاعت في هذا العصر . لقد تحولت حركة الوعظ التي نشطت في مساجد الكوفة والبصرة وبغداد إلى زهد حقيقي ملأ قلوب الناس وأبعدهم عن تيَّارات الانحراف . وعُرِفت عشرات الأسماء التي اشتهرت بزهدها من أمثال : الفضيل بن عياض ، ومحمد بن سيرين، وسفيان الثوري ، ويحيى بن معاذ . لذلك لم يكن غريباً أن يظهر مجموعة من الشعراء طغتْ على شعرهم عواطف الزهد وأفكاره . يقول أبو العتاهية :

دَعْـنِي مِـنْ ذِكْـرِ أبٍ وجَـدٍّ ... ونَـسَبٍ يُـعْـلِيكَ سُورَ المَجْدِ
ما الفَـخْرُ إلَّا فِي التُّـقَى والـزُّهْدِ ... وطَـاعَةٍ تُعْطِي جِنَانَ الـخُـلْدِ

---

(١) مفنَّدا :مُكذَّبًا.

ويقول :

فَــلاَ تَعْــشَقِ الــدُّنْــيَا أُخَيَّ فَإِنَّمَا ... يُرَى عَــاشِقُ الدُّنْيَا بِجَهدِ بَـلاَءِ
حَــلاَوَتُهَا مَــمْــزُوجَةٌ بِـمــرَارَةٍ ... وَرَاحَتُهَا مَــمْــزُوجَةٌ بِــعَــنَاءِ

ومن الشعراء الزهاد محمود بن الحسن الوراق ،ويظهر أنه كان مطّلعاً على ثقافات عصره المنطقية إذ يقول:

تَــعْصِي الإِلَــهَ وَأَنْــتَ تُظْــهِرُ حُبَّهُ ... هَــذَا مُــحَــالٌ فِي الــقِيَاسِ بَــدِيعُ
لَــوْ كَانَ حُــبُّكَ صَادِقاً لأَطَــعْتَهُ ... إِنَّ المُــحِبَّ لِمَــنْ يُــحِبُّ مُــطِــيعُ

(ب) التجديد في منهج القصيدة:

لم تكن محاولات التجديد في الموضوعات التقليدية هي الظاهرة الوحيدة في هذا العصر، فقد صاحبتها محاولات التجديد في أسلوب الشعر ونهجه ، وكانت التطورات التي طرأت على هذا العصر دافعاً قوياً إلى ظهور هذا التجديد . وكان أول من دعا إليه الشعراء المُوَلَّدون. فقد كان الشعراء العرب حريصين على تقاليد شعرهم الموضوعية والفنية القديمة. مستجيبين لعواطفهم ، محافظين على تُراثهم، أما المولَّدُون فلم تكن هناك عاطفة تربطهم بهذا التراث ، ولم يكونوا حريصين على شكله ومضمونه. ويعبِّر أبو نواس عن موقف هؤلاء الشعراء في قصيدته التي مطلعها :

مَالِـي بِـدَارٍ خَـلَتْ من أهْـلِها شُغُلُ ... ولا شَـجَانِي لَــهَا شَخْصٌ ولاَ طَـلَلُ

فيقول فيها :

لاَ الحَــزْنُ مِــنِّي بِــرأيِ العَيْنِ أَعْرِفُهُ ... وَلَيْــسَ يَــعْـرِفُنِي سَهْلٌ ولاَ جَبَلُ (١)

---

(١) الحزن : الوعر والغليظ من الأرض .

لَا أنْــعتُ الــرَّوْضَ إلا مَا رَأيتُ بِهِ | قَصْراً مُنِيْفاً عَلَيْه النَّخْلُ مُشْتَمِلُ (١)
فَـهَـاكَ مِنْ صِفَتِي إنْ كُنْتَ مُخْتَبِراً | ومُـخْبِراً نَـفراً عَـنّي إذا ســألُوا

فالشاعر يرفض مسلك القدماء في الوقوف على الأطلال ، وقَطْع الفيافي ، ووصف جبال البيد، فهو لا ينعت إلا ما يرى من رياض وقصور .

وهذا بشار يستهزئ بالبكاء على الأطلال ، بالرغم من أنه التزمه في أكثر قصائده تقليداً لا حبًّا، فيقول :

كَيْـفَ يَـبْـكِي لِمَحْـبِسٍ فِي طُلُولٍ | مَـنْ سَـيَبْـكِي لِيَوْمِ حَبْسٍ طَوِيلِ
إنَّ فِي البَـعْــثِ والحِسَابِ لَشُــغْلاً | عَـنْ وَقُــوفٍ بِــرسمِ دارٍ مَحِيــلِ

لذلك كانت الدعوة إلى نبْذ المقدمة الطللية للقصيدة ، والبدء بموضوع آخر يناسب البيئة الجديدة والحضارة المترفة دعوى لها ما يبررها واتَّبعها كثيرون .

ولم تَقِفْ محاولة البحث عن الجديد عند مقدمة القصائد ، بل تعدَّتها إلى نهج القصيدة ، وهو ما يُسمّيه القدماء بعمود الشعر (٢) ، فقد خرج المحدثون من الشعراء على هذا النهج في أكثر من موضوع في الأسلوب وفي المحتوى ، فقد التحمت القصيدة بعد أن كانت أقساماً لا يربط بينها رباط نفسي أو فكري إلا ما ندر ، بل أصبحت بعض القصائد تدور حول موضوع واحد ، كالغزل أو الزهد أو الوصف . ويبدأ الشاعر بالتأثر في شعره بالثقافات الجديدة من فلسفة ومنطق وعلم كلام .

وتكثر الحكم المنقولة من التراث الفارسي ، ونراها تؤثر في الصور التي عبَّر بها الشعراء ، فهذا أبو تمام يسمع الحكمة التي تقول : « إن الحازم يكره القتال ما وجد بُدّاً منه ؛ لأن النفقة فيه من النفس، والنفقة في غيره من المال » . يقول :

كَـمْ بَـيْـنَ قَـوْمٍ إنَّـمَا نَـفَقَـاتُهُمْ | مَــالٌ وقَــوْمٍ يُـنْـفِـقُونَ نُفُوسَا

(١) منيفاً : مرتفعاً .

(٢) عمود الشعر : طريقته الموروثة عن العرب في وزنه وقافيته وأسلوبه .

(ج) تعبير الشعر عن حياة الفرد :

لقد قرب الشعر من نفسية صاحبه ، وأصبح وسيلة للتعبير عما يحسه ، ويشغل فكره ، وإذا كان قد وجهه إلى مصدر رزقه في أحيان كثيرة فإنه لم يبخل على نفسه أن ينفث فيه أحزانه أو أفراحه ، ويجعله تعبيراً عن الذات قبل أن يكون تعبيراً عن الغير ، يقول صالح بن عبد القدوس في التعبير عن مأساة عماه :

عَلَى الدُّنْيا السَّلامُ فَمَا لِشَيْخٍ ضَرِيرِ العَيْنِ فِي الدُّنْيا نَصِيبُ
يَمُوتُ المَرْءُ وَهْوَ يُعَدُّ حَيّاً ويُخْلِفُ ظَنَّهُ الأَمَلُ الكَذُوبُ
يُمَنِّينِي الطَّبِيبُ شِفَاءَ عَيْنِي ومَا غَيْرُ الإِلَهِ لَهَا طَبِيبُ
إِذَا مَا مَاتَ بَعْضُكَ فَابْكِ بَعْضاً فَإِنَّ البَعْضَ مِنْ بَعْضٍ قَرِيبُ

ويصور أبو الشمقمق فقره وعوزه فيقول :

بَرَزْتُ مِنَ المَنَازِلِ والقِبَابِ فَلَمْ يَعْسُرْ عَلَى أَحَدٍ حِجَابِي
فَمَنْزِلِيَ الفَضَاءُ وسَقْفُ بَيْتِي سَمَاءُ اللهِ أو قِطَعُ السَّحَابِ
فَأَنْتَ إِذَا أَرَدْتَ دَخَلْتَ بَيْتِي عَلَيَّ مُسَلِّماً مِنْ غَيْرِ بَابِ
لأَنِّي لَمْ أَجِدْ مِصْرَاعَ بَابٍ يَكُونُ مِنَ السَّحَابِ إِلَى التُّرَابِ (١)

(د) الصنعة الأسلوبية :

بدأت مظاهر الصنعة الفنية في الشعر في هذا العصر في وقت مبكّر ، وإن كان بشار وأبو نواس قد اهتمَّا بها في شعرهما فإن مسلم بن الوليد هو أول من اعتمد عليها ، وأصبحت أساساً في شعره حين أكثر من استعمال ألوان البديع المختلفة : من جناس ، وطباق ، ومقابلة ، وغيرها من فنون هذا العلم . يقول مسلم مادحاً أحد قُوَّاد المسلمين :

---

(١) مصراع الباب : أحد جانبيه .

يَغْشَى الوَغَى وشِهَابُ المَوْتِ فِي يَدِهِ — يَرْمِي الفَوَارِسَ والأَبْطَالَ بالشُّعَلِ (١)
يَفْتَرُّ عِنْدَ افْتِرَارِ الحَرْبِ مُبْتَسِماً — إذا تَغَيَّرَ وَجْهُ الفَارِسِ البَطَلِ (٢)
مُوفٍ عَلَى مُهَجٍ فِي يَوْمِ ذي رَهَجٍ — كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلِ (٣)
يَنَالُ بالرِّفْقِ مَا يَعْيَا الرِّجَالُ بِهِ — كَالمَوْتِ مُسْتَعْجِلاً يأتِي عَلَى مَهَلِ (٤)

فالشاعر يستعير الشهاب للسيف ويجعله شهاب الموت ، وهو شهاب تسقط الشعل منه على فوارس الأعداء فتحرقهم حرقاً ، ثم جاء بالجناس فجانس بين (يفترُّ وافترار) ، وأدخل في ذلك ضرباً من المشاكلة ، فالممدوح يفترُّ مبتسماً ، وتفترُّ الحرب عن أنيابها ، وأضاف الطباق ، فطابق بين تغير الوجه وعبوسه وابتسام الممدوح ، وتألق الجناس في البيت الثالث بين (مهج ورهج) وبين (أجل وأمل) ، إلى جانب الإيقاع الداخلي الناتج عن تقطيع البيت إلى فقرات متوازنة . ثم طابق في البيت الأخير بين (ينال ويعيا) ، وبين (مستعجل وعلى مهل) .

وقد حاول البحتري أن يقلد تلك الصنعة البديعة ولكنه كان تقليداً ساذجاً إذ لم تؤهله ثقافته غير العربية كي يتعمق في تلك الصنعة شكلاً وأفكاراً كما سوف ترى في تطور هذه الصنعة عند أبي تمام . يقول البحتري :

مِنِّيَ وصْلٌ وَمِنْكَ هَجْرُ — وفِيَّ ذُلٌّ وفِيكَ كِبْرُ
ومَا سَوَاءٌ إذا الْتَقَيْنَا — سَهْلٌ على خلَّةٍ وَوَعْرُ
قَدْ كُنْتُ حرًّا وأنْتَ عَبْدٌ — فَصِرْتُ عَبْداً وأنْتَ حُرٌّ

فقد تعمد طباقاً لا تعقيد فيه ولا مشقة في صنعه ، وهو أشبه ما يكون بتداعي المعاني ، لا يعتمد على الصورة المركبة ، كما رأينا عند مسلم ، وكما هو الشأن في صور أبي تمام .

---

(١) الوغى : الحرب ، الفوارس : الفرسان .
(٢) يفتر : يبتسم :
(٣) موف : قاض . مهج : نفوس . رهج : غبار الحرب .
(٤) يعيا الرجال به : يعجزون عنه .

ويمثّل أبو تمام في أوائل القرن الثالث أبرز محاولات التجديد في هذا المجال ، حيث استخدم كلَّ ألوان البديع التي استخدمها مسلم بن الوليد؛ من جناس وطباق ومشاكلة وتصوير ، ولكنه يضيف إليها وَشْياً آخر من الثقافة والفلسفة ، وهما اللذان جعلا من بديعه شيئاً آخر يختلف عن بديع مسلم وأمثاله ، فلم يعد الجناس – مثلاً – تركيبات صوتية متماثلة ، ولا الطباق معاني ذهنية متقابلة ، بل لقد اتحدا داخل صورة مركبة ، لها عُمْق وأبعاد ، يقول أبو تمام مادحاً :

ألبستَ فوقَ بياضِ مجدكَ نعمةً ... بيضاءَ تسرعُ في سوادِ الحاسدِ

فقد استخدم أبو تمام طباقاً بين البياض والسواد ، ولكنه ليس طباقاً خالصاً ، إذ أصبح عنصراً من عناصر الصورة عندما عبر عن غيظ الحاسد بالسواد ، ووصف نعمة صاحبه بالبياض ، ثم جعل البياض يسرع في السواد وينتشر فيه .

(هـ) الأوزان والقوافي :

لم تكن الموضوعات والأساليب وحدهما مجال التجديد في هذا العصر . فقد شاعت لدى كثير من الشعراء الأوزان الخفيفة لنظم قصائدهم ، كأبيات البحتري السابقة .

أما في مجال القوافي فقد ظهرت المزدوجات التي تتحد فيها القافية في شطري البيت ، وتختلف من بيت إلى بيت . وكذلك نظم الشعراء الرباعيات [1] والمسمَّطات [2] والمخمسات [3] وجميعها أشكال مختلفة في استعمال القوافي ، ويرى بعض النقاد أن هذه الأشكال بداية لظهور فن (الموشَّحات) في الأندلس كما ستعرف فيما بعد .

---

(١) الرباعية : فقرة شعرية من أربعة أشطر يتفق أولها وثانيها ورابعها في قافية واحدة .

(٢) المسمطة : قصيدة تتألف من فقرات شعرية ، كل فقرة تتركب من أربعة شطور أو أكثر ، وتتفق كل فقرة على حده في قافية واحدة ، ما عدا الشطر الرابع فتتحد قافيته في جميع فقرات القصيدة .

(٣) المخمسة : هي مسمطة ولكن الفقرة فيها من خمسة شطور .

(و) تعدد اتجاهات الشعراء :

لقد تمثّل الشعراء في هذا العصر العربية وأسرارها التركيبية أقوى تَمَثُّل وأرْوَعَه ، غير أن الجديد في هذه الفترة هو تعدُّد اتجاهات الشعراء وتنوعها ، ضمن الإطار العام للتيار الجديد ، حيث أصبح لبعض الشعراء نهجه الخاص الذي يترسَّمه ويسير عليه . وإذا كان البحتري يمثل رابطة بين هذه الفترة وسابقتها ، فإن ابن الرومي وابن المعتز والصنوبري والمتنبي وأبا العلاء يمثلون اتجاهات الشعراء في هذه الفترة إلى أواخر القرن الخامس .

١ - ابن الرومي والاتجاه العقلي :

يُعدُّ ابن الرومي آخر من يمثل القرن الثالث الهجري (توفي سنة ٢٨٣ هـ) ، وقد كان هو وأبو تمام علامة تشير إلى الطريق الذي سوف يسلكه الشعر في القرنين الرابع والخامس عند المتنبي وأبي العلاء المعري ، حيث تمثل الشعراء جميع الثقافات في عصرهم فلسفية وغير فلسفية ، ثم يظهر تأثير ذلك في قصائدهم شكلاً ومحتوى . إذا نجد ابن الرومي يستقصي المعاني استقصاءً عجيباً ، حتى إنه يكاد لا يترك في معنى شُعْبَةً دون عرضها والإلمام بها . وهو يوغل في كل الأفكار ويستنبط منها مستوراتها الخفية ، ويقيسها بأقيسة المنطق ، ويعللها بعلله .

لهذا استطاع أن يغيِّر في سمات كل موضوع قديم بفضل ما ألقى عليه من الأضواء والظلال العقلية ، وانظر إلى تلك الصورة التي يمدح بها ، فيقول عن ممدوحه :

أوْفَى بأعْلَى رُتْبَةٍ وتَوَاضَعَتْ ... آلاؤُهُ فَأحَطْنَ بِالأعْنَاقِ
كالشَّمْسِ في كَبِدِ السَّمَاءِ مَحَلُّهَا ... وشُعَاعُهَا في سَائِرِ الآفَاقِ

كذلك يتحوَّل الهجاء عنده إلى فنِّ الرسم المضحك (الكاريكاتيري)، فها هو يصف رجلاً أحْدبَ فيقول :

قَـصُـرَتْ أخَـادِعُـهُ وغَـابَ قَذَالُهُ ... فَـكَـأنَّهُ مُـتَرَبِّـصٌ أنْ يُصْفَعَا (١)
وكَـأنَّمَا صُـفِعَتْ قَـفَاهُ مَـرَّةً ... فَـأحَـسَّ ثَـانِيَةً لَـهَا فَتَجَمَّعَا

٢ - ابن المعتز والاتجاه البديعي :

لم يكن ابن الرومي يمثل الاتجاه الفني الوحيد في هذه الفترة ، بل لقد عاصره شاعر آخر خرج عن نهجه في التأثر بثقافات العصر الفلسفية ، وفي تعميق صوره ودلالاتها ، وهو عبد الله بن المعتز (توفي سنة ٢٩٦ هـ) الذي استمر على نهج مشابه لنهج البحتري وإن كان قد أكثر من التشبيهات والفنون البديعية الأخرى ، التي أصبحت هدفاً لذاتها . ومن بديع صُوَرِهِ قوله في وصف الهلال :

انْـظُرْ إلَى حُـسْـنِ هِـلَالٍ بَـدَا ... يَـهْـتِـكُ مِـنْ أنْـوَارِهِ الحِنْدِسَا (٢)
كَـمِنْجَلٍ قَـدْ صِـيغَ من فِـضَّةٍ ... يَـحْـصُدُ مِنْ زُهْرِ الدُّجَى نَرْجِسَا

وقوله :

انْـظُرْ إلَـيْهِ كَـزَوْرَقٍ مِـنْ فِـضَّةٍ ... قَـدْ أثْـقَـلَتْهُ حُـمُولَةٌ مِنْ عَنْبَرِ

٣ - الصَّنَوبَرِي وتصوير الطبيعة :

يُعَدُّ الصنوبري أحمد بن محمد الضبِّي (توفي سنة ٣٣٤ هـ) امتداداً لنهج البحتري ثم ابن المعتز ، إلا أنه تميز بالإكثار من وصف مظاهر الطبيعة الجميلة ، بحدائقها وزهورها ، وسمائها ونسيمها... وكان مثلهما يعتمد في صياغته على التشبيهات والصور ، دون تعقيد أو التواء ، يقول :

وَرْدٌ بَـدَا يَـحْـكِي الخُدُودَ ونَرْجِسٌ ... يَـحْـكِي العُيُونَ إذَا رَأتْ أحْبَابَها
والسَّرْوُ تَحْسَبُهُ العُيُونُ غَوَانِيَاً ... قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سُوقِهَا أثْوابَـهَا (٣)
وكَـأنَّ إحْـدَاهُنَّ مِـن نَفْحِ الصَّبَا ... خَـوْدٌ تُـلاعِـبُ مَـوْهِناً أتْرابَهَا (٤)

---

(١) الأخادع : عروق في صفحة العنق . القذال : القَفَا . (وقد جانب الشاعر الصواب عندما سخر من خلق الله) .

(٢) الحندس : الظلام .

(٣) السرو : شجر يتخذ للزينة . غوانياً : جمع غانية وهي الفتاة التي استغنت بجمالها عن مساحيق التجميل .

(٤) الخود : الشابة حسنة الخَلْق . مَوْهناً : نحواً من نصف الليل . أترابها : من هن في مثل سنها .

ويقول واصفاً معركة بين الأزهار انتصر فيها النَّرْجِس :

خَجِلَ الوَرْدُ حينَ لا حَظَهُ النَّرْ جِسُ مِنْ حُسْنِهِ وغَارَ البَهَارُ (١)
فَعَلَتْ ذَاكَ حُمرةٌ وعَلَتْ ذَا حَيرةٌ واعْتَرَى البَهَارَ اصْفِرارُ
وغَدَا الأُقْحُوانُ يَضْحَكُ عُجْباً عَنْ ثَنَايَا لِثاتُهُنَّ نُضَارُ (٢)
عِنْدَهَا أبْرَزَ الشَّقِيقُ خُدُوداً صَارَ فِيهَا مِنْ لَطْمِهِ آثَارُ (٣)
وأضَرَّ السَّقَامُ باليَاسَمِينِ الـ غَضِّ حَتَّى أذابَهُ الإضْرَارُ (٤)

وقد أُعجب الأندلسيون بشعر الصنوبري ودرسوه ، فقد كانت طبيعة الأندلس مُلْهِماً لكثير من شعراء هذا الإقليم الإسلامي . بل لقد تأثروا به وهو يصف مظاهَر الحضارة بخيال خصب ، وقريحة مبدعة .

٤ – المتنبي والتعبير عن الذات :

يُعَدُّ أبو الطيب المتنبي (توفي سنة ٣٥٤هـ) أبرز الشعراء العباسيين . وأكبر شعراء العربية ، وقد ذاع شعره في الآفاق لما فيه من الحكمة والتجارب الصادقة ، مع قدرة عجيبة على التعبير ، حتى لقد قيل : إنه مالئ الدنيا وشاغل الناس .

والمتنبي من شعراء المعاني ، وقد وَفَّق بين الشعر والفلسفة ، وجعل أكثر عنايته بالمعنى ، وأطلق الشعر من القيود التي قيده بها أبو تمام ، وخرج به عن أساليب العرب التقليدية ، ولقد حَظِي في شعره بالحكم والأمثال ، واختصَّ بالإبداع في وصف القتال . . .

غير أن أخصَّ ما يُميِّز المتنبي هو بروز شخصيته في شعره ، وصدق إيمانه برأيه ، وقوة اعتداده بنفسه ، ولكي يتضح ذلك جليًّا اقرأ قوله مفتخراً بنفسه :

---

(١) البهار : زهر أصفر .

(٢) الأقحوان : زهر أبيض في وسطه اصفرار وأوراقه مفلَّجة ، لذا يشبهونه بالأسنان . النضار : الذهب .

(٣) الشقيق : ورد كبير أحمر .

(٤) السَّقام : المرض .

أنـا الـذي نـظر الأعمى إلى أدبي وأسـمعت كـلماتي مَنْ بـه صَمَمُ
الـخيـل والـليل والـبـيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

إن (التعبير عن الذات) عند المتنبي يسبق التعبير عن الغير حتى في شعر المدح ، فنحن لا نكاد نجد قصيدة في ديوانه استطاع فيها أن ينسى نفسه ، أو أن يلغي شخصيته ، لذلك كانت تلك الحقيقة واحدة من الأسباب التي أكسبت شعره صِدْقَ التعبير ، وحرارةَ الإحساس . والأمثلة كثيرة ، من بينها تلك القصيدة التي مدح بها سيف الدولة الحمداني من خلال تصوير إحدى وقائعه مع الروم والتي يقول في مطلعها :

غَـيْرِي بَـأكْـثرِ هَـذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ إنْ قَاتَلُوا جبُنُوا أوْ حدَّثُوا شَجُعُوا
أهْـلُ الحَـفيظةِ إلَّا أنْ تُجَـرِّبَـهُـمْ وفي الـتَّـجَارِبِ بَـعْدَ الغَيِّ مَا يَزَعُ
ومـا الحَـيَاةُ ونَفْسِـي بَعْدَ مَا عَلِمَتْ أنَّ الحَـيَاة كمَا لاَ تَشْـتَـهِي طَبَعُ

فمنذ البداية يحسُّ أنه إذا خدعت المظاهر غيره فإنه لا ينخدع بها ، وكان سيف الدولة قد انهزم في تلك الموقعة ، وأراد المتنبي أن يؤكِّد أن تلك الهزيمة ليست دلالة على الضعف وإنما هي هزيمة عابرة، وهو يقدم لهذا المعنى من خلال رؤياه الخاصة ، وليس من خلال رؤية ممدوحه ، وكأنه يحس أنه وممدوحه شخص واحد .

٥ - المعرِّي والتفكير الفلسفي :

ومع نهاية القرن الرابع يُولد ممثل القرن الخامس الهجري ، إنه أبو العلاء المعرِّي ، نهاية الشعراء الكبار والموهوبين في العصر العباسي (توفي سنة ٤٤٩ هـ) .

لقد نَظَم أبو العلاء في معظم موضوعات الشعر العربي ، ويصوِّر ديوانه (سَقْطُ الزَّنْد) ذلك الشعر ، الذي يُشْبهُ فيه غيره من شعراء العربية . غير أن خير ما يصوِّر اتجاه أبي العلاء الفني ديوانه (لُزُومُ ما لاَ يَلْزَم) ، وكأنَّ تلك التسميةَ تسمية لحياته ، فقد التزم فيها ما لم يَلْزَمْه الناس من قبل ، بل

ما لم يلزمه هو نفسه في أوائل حياته ، فقد تكلَّف أن ينتظم حروف المُعْجَم كلَّها ، وأن تكون القافية على حرفين ، وأن يجيء رويُّه بالحركات الثلاث ثم السكون بعد ذلك . وقد اضطر هذا التكلفُ أبا العلاء إلى المبالغة في اصطناع الغريب من اللغة ، ليقوم له بما يحتاج إليه من القافية ، ثم جعله محتوى لآرائه وفلسفته ، واتخذ في التعبير عنها الرمز والإيماء وكأنه يريد أن يكون الديوان لصفوة الناس لا لعامَّتهم .

وقد أكثر أبو العلاء من استخدام الاصطلاحات العلمية في اللُّزُومِيَّات ، كذلك بالغ في استخدام الزخرف البديعي ، وكان للعلوم الفلسفية تأثير ظاهر في اللزوميات وغيرها ، وقد جعلته السمة البارزة في كل قصائده ، بل كان الشعر هو الأسلوب الذي عبَّر عن تأثير تلك العوامل في نفسه حتى لقد تملكته اصطلاحاتها في ثنايا أبياتها . يقول :

والكِبْرُ والحَمْدُ ضِدَّانِ اتِّفَاقُهُمَا ... مِثْلُ اتِّفَاقِ فَتَاءِ السِّنِّ والكِبَرِ

ويقول في أوهام الحياة :

تَوَهَّمْتُ خَيْراً في الزَّمَانِ وأهْلِهِ ... وكَانَ خَيَالاً لا يَصِحُّ التَّوَهُّمُ
فَمَا النُّورُ نَوَّارٌ ولا الفَجْرُ جَدْوَلٌ ... ولا الشَّمْسُ دِينَارٌ ولاَ البَدْرُ دِرْهَمُ

كان القرن الرابع بداية ظهور الدول والإمارات المستقلة ، كالفاطميين في مصر ، والأمويين في الأندلس ، أما في المشرق فقد قامت دول فارسية شجعت على ازدهار الأدب الفارسي ، وكان الصراع فيها حاداً بين اللغة العربية واللغة الفارسية ، على استمرار الوجود في هذه المنطقة . وقد نجح الشعر الفارسي في أن يحتلَّ مكانة الشعر العربي في بلاد أمراء الفرس المسلمين . ولم تَبْقَ في هذه المنطقة إلا الكتابة النثرية وبعض الدراسات اللغوية والدينية . أما الشام ومصر فقد ظهرت فيها عدة دول من أهمها دولة السلاجقة في الشام بعد إمارة الحمدانيين ، والدولة الأيوبية في مصر بعد القضاء على الفاطميين . وقد أسهم وجود هذه الدُّوَيْلات في تشجيع الشعر ، حيث تسابق حكامها في اجتذاب الشعراء وإجزال العطاء لهم ، وأخذ الشعراء في تجويد إنتاجهم .

وقد ازدهر الشعر العربي في مصر والشام وبخاصة فن المدح ، الذي ارتبط بحكام هذين الإقليمين . كذلك ازدهر فن وصف الطبيعة ، وكانت الصياغة الفنية تعتمد اعتماداً كلِّياً على المحسنات البديعية ، فهذا ابن قلاقس آخر شعراء العهد الفاطمي (توفي سنة ٥٦٧ هـ) يقول واصفاً منظر غروب الشمس على صفحة النيل :

انْظُرْ إِلَى الشَّمسِ فَوْقَ النِّيلِ غَارِبَةً   واعْجَبْ لما بَعْدَها مِنْ حُمْرَةِ الشَّفَقِ
غَابَتْ وأبْدَتْ شُعَاعاً مِنْهُ يَخْلُفُهَا   كَأنَّهَا احْتَرَقَتْ بِالمَاءِ فِي الغَرَقِ

وقد امتاز الشعر في هذه الفترة بالرِّقَّةِ والتظرُّف ، وكان القرن السادس قمة في التفكُّهِ والدعابة . يقول الجليس بن الحباب (توفي سنة ٥٦١ هـ) قصيدة على سبيل المداعبة يشكو فيها من طبيب عالجه من الحُمَّى :

طَبِيبٌ طِبُّهُ كَغُرَابِ بَيْنٍ   يُفَرِّقُ بَيْنَ عَافِيَتِي وبَيْنِي
أتى الحُمَّى وقَدْ شَاخَتْ وبَاخَتْ   فَرَدَّ لَهَا الشَّبَابَ بِنُسْخَتَيْنِ (١)

---

(١) باخت : هدأت وسكنت .

وَدبَّـرَهَا بِتَـدْبيرٍ لَـطِـيـــفٍ | حَـكَــاهُ عَــنْ سِنَانٍ أوْ حُنَيْنْ
وكَـانَتْ نَـــوْبَةٌ فِي كُـلِّ يَـــوْمٍ | فَـصَـيَّرَهَــا بِـحِــذْقٍ نَوْبَتَيْنْ

وقد استطاع الشعر العربي في عهد الدولة الأيوبية (من سنة ٥٦٧ هـ إلى سنة ٦٤٨ هـ) وإلى قُبَيل سقوط الخلافة العباسية (سنة ٦٥٦ هـ) أن يلعب دوراً كبيراً في أحداث هذا العصر ، كما ستعرف عند الحديث عن شعر الحماسة في الحروب الصليبية ، غير أن الشعراء كانوا مشغولين بالصنعة اللفظية أكثر من العناية بروح الشعر .

ولقد كثر الشعراء في هذه الفترة كثرةً مُفْرِطةً ، ولكن المجيدين منهم كانوا قلَّة مثل أسامة بن مُنقذ، وابن النَّبيه ، والبهاء زهير ، وابن سناء المُلْك . وكانوا جميعاً من الشعراء الذين اعتمدوا على الصنعة اللَّفظية في شعرهم من جناس وطباق وتورية ... ، وقد اهتمَّ معظمهم بوصف الرياض والأزهار ، والتمادح بالبلدان والأوطان . يقول البهاء زهير :

سَـقَى واديـاً بَيْنَ العَـرِيشِ و بَرْقَةٍ | مِـنَ الغَيْثِ هَطَّالُ الشَّآبِيبِ هَـتَّانُ
وحَـيَّا النَّسيمُ الرَّطْبُ عَنِّي إذا سَرَى | هُـنَالك أوْطَـانـاً إذا قِـيلَ أوْطَـانُ
بِـلادٌ مَـتَى مَا جِئْتَهَا جِئْتَ جَنَّةً | لِـعَيْنَيْكَ مِنْهَا كـلَّما شِئت رِضْوَانُ

ولم يكن شماليُّ أفريقيا وخاصة في تونس والمغرب أقلَّ حظًّا في فن الشعر ، وإن كان شعراؤه يَحْذون حَذْوَ شعراء المشرق فنيًا . ومن أهمِّ الشعراء القيرواني أبو الحسن الحُصْري صاحب القصيدة المشهورة التي منها :

يَـا لَيْـلُ الـصَّبُّ (١) مَـتَى غَـدُهُ | أقِـيَامُ السَّـاعَـةِ مَــوْعِـدُهُ ؟
رَقَــدَ الـسُّـمَّارُ وأرَّقَــهُ | أسَــفٌ لِلْـبَـيْنِ يُـرَدِّدُهُ (٢)

---

(١) الصبُّ : من أضناه الشوق .

(٢) السمار : جمع سامر ، وهو من يقضي الليل بالأحاديث . والبين : الفراق .

فَبَكَاهُ النَّجْمُ وَرَقَّ لَهُ ... مِمَّا يَرْعَاهُ وَيَرْصُدُهُ
كَلِفٌ بِغَزَالٍ ذِي هَيَفٍ ... خَوْفُ الوَاشِينَ يُشَرِّدُهُ (١)
نَصَبَتْ عَيْنَايَ لَهُ شَرَكاً ... فِي النَّوْمِ فَعَزَّ تَصَيُّدُهُ (٢)
وكَفَى عَجَباً أَنِّي قَنِصٌ ... لِلسِّرْبِ سَبَانِي أَغْيَدُهُ (٣)

وهي قصيدة ممتازة عارضها كثير من الشعراء من القدماء والمحدثين .

وقد أخذ شأن الشعر يضعف تدريجيًا في نهاية هذا العصر ، لانتشار العجمة ، ووجود حكام لا يتذوقون الشعر ولا يَهْتزُّون له ، إِضافة إِلى إِغراق الشعراء في الصناعة اللفظية ، وقد استمرت حاله هكذا في العصر التالي للعصر العباسي وهو عصر الدول المتتابعة .

مناقشة

١ – بدأ العصر العباسي بظهور اتجاهين شعريين متباينين . فما هما ؟ وبم تميز كل اتجاه ؟

٢ – كان لعلماء اللغة وعلماء الدين دورٌ كبير في دفع الشعراء للنظم على طريقة القدماء في الشعر . أوضح هذه العبارة .

٣ – كيف أسهم الخلفاء العباسيون في تشجيع الشعراء للنظم على النهج القديم في الشعر ؟

٤ – اضطرَّ بعض الشعراء المجددين إلى السير على نهج القدماء في نظم قصائدهم . أُعَلِّلُ ذلك ؟ وأذكر أبرز هؤلاء الشعراء ؟ وأستشهد لما أقول .

٥ – ما مظاهر قوة التيار القديم ؟

٦ – مَنْ الشعراء المجددون ؟ وما الذي دعاهم إلى التجديد في الشعر ؟ وما موقف النقاد منهم ؟

---

(١) كلف : مولع . الهيف : ضمور البطن .
(٢) الشرَك : حبالة الصائد .
(٣) سباني : من السبي وهو الأسر والتملك . والغيد : النعومة .

٧ – مَنْ أشهر الشعراء المجددين ؟ وعَلاَمَ يقوم أسلوبهم في الشعر ؟

٨ – كيف جدد الشعراء العباسيون في شعر المدح ؟

٩ – ما مظاهر التجديد في فني الهجاء والرثاء في العصر العباسي ؟ آتي ببعض الشواهد لما أقول .

١٠ – قال الشاعر :

لَنا نُدَماءُ مَا نَمَلُّ حَدِيثَهُمْ ... أَمِينُونَ مَأمُونُونَ غَيْباً وَمَشْهَدَا

أ – عَمَّ يتحدث الشاعر ؟

ب – من أيِّ أغراض الشعر هذا البيت ؟ وما التجديد الذي أحدثه العباسيون فيه ؟

جـ – أكمل بقية الأبيات ، وأشرحها بأسلوب أدبي .

١١ – أوازن بين شعر الزهد في العصر الإسلامي والأموي وفي العصر العباسي ، وأذكر دوافعه في العصر الأخير وأبرز شعرائه.

١٢ – كيف جدَّد الشعراء العباسيون في مقدّمة القصيدة العربية ؟ أوضح رأيي في هذا التجديد . وأذكر أبرز من دعا إليه.

١٣ – ما المقصود بعمود الشعر العربي ؟ وما الذي جدده العباسيون فيه ؟ أورد مثالاً على ما أقول .

١٤ – قال الشاعر :

عَلَى الدُّنْيَا السَّلاَمُ فَمَا لِشَيْخٍ ... ضَرِيرِ العَيْنِ في الدُّنْيَا نصِيبُ

أ – عمَّ يُعَبِّرُ الشاعر في هذا البيت ؟

ب – يمثل هذا البيت مظهراً من مظاهر التجديد في الشعر العباسي . أوضحه .

جـ – أكمل بقية الأبيات وأعلّق عليها بما أراه مناسباً .

١٥ – ما الشعر التعليمي ؟ وهل يمكن أن نعدَّه نوعاً من الأدب ؟ أوضح ما أقول .

١٦ – تعدُّ الصنعة الأسلوبية نوعاً من التجديد في الشعر . فما المقصود بها ؟ ومَنْ من الشعراء العباسيين اعتمد عليها ؟

١٧ – أوازن بين مسلم بن الوليد وأبي تمام في استخدام الصنعة البديعية من خلال عرض وتحليل بعض أشعارهما .

١٨ – ما الفرق بين البحتري وأستاذه أبي تمام في استخدام ألوان البديع ؟

١٩ – كيف جدَّد الشعراء العباسيون في أوزان الشعر وقوافيه ؟

٢٠ – ما الجديد الذي طرأ على الشعر العربي في القرن الثالث ؟

٢١ – قال الشاعر :

انْظُرْ إِلَيْهِ كَزَوْرَقٍ من فضةٍ قَدْ أَثْقَلَتْهُ حُمُولةٌ مِنْ عَنْبرِ

أ – من القائل ؟ وماذا يصف ؟

ب – ما الاتجاه الذي سلكه الشاعر في شعره ؟ أوضح ما أقول .

جـ – أوضِّح الصورة الخياليَّة في البيت ، و رأيي فيها ؟

٢٢ – ما النهج الذي سلكه كل من ابن المعتز والصنوبري ؟ وبم تميز الأخير ؟ أورد له مثالاً وأذكر رأيي فيه .

٢٣ – يُعَدّ المتنبي أكبر شعراء العربية . أذكر ما أعرف عن شعره . و الجديد الذي أضافه إلى الشعر العباسي.

٢٤ – يمثل ديوان : (لزوم مالا يلزم) اتجاه أبي العلاء في الشعر . أذكر ما أعرفه عنه، والاتجاه الذي سلكه فيه. أورد مثالاً يوضح ما أقول .

٢٥ – ما أثر تعدد الدويلات في القرن السادس وما يليه في الشعر العربي ؟ وبم تميز الشعر في هذه الفترة ؟ أمثِّل لما أقول .

١ – بشار بن برد يصف جيشاً

النص :

١ – إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الأُمُورِ مُعَاتِبًا ... صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الَّذِي لا تُعَاتِبُهْ
٢ – فَعِشْ وَاحِداً أو صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ ... مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً ومُجَانِبُهْ
٣ – إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى القَذَى ... ظَمِئْتَ ، وأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ
٤ – إذا المَلِكُ الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ... مَشَيْنَا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ نُعَاتِبُهْ
٥ – وجَيْشٍ كَجُنْحِ اللَّيلِ يَزْحَفُ بِالحَصَى ... وبِالشَّوكِ ، والخَطِّيِّ حُمْرٌ ثَعَالِبُهْ
٦ – غَدَوْنَا لَهُ والشَّمْسُ فِي خِدْرِ أُمِّهَا ... تُطَالِعُنَا والطَّلُّ لَمْ يَجْرِ ذَائِبُهْ
٧ – بِضَرْبٍ يَذُوقُ المَوْتَ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ ... وتُدْرِكُ مَنْ نَجَّى الفِرَارُ مَثَالِبُهْ
٨ – كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا ... وأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ
٩ – بَعَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ الفُجَاءَةِ إِنَّنَا ... بَنُو المُلْكِ خَفَّاقٌ عَلَيْنَا سَبَائِبُهْ
١٠ – فَرَاحُوا : فَرِيقاً فِي الإِسَارِ ومِثْلُهُ ... قَتِيلٌ ومِثْلٌ لاَذَ بِالبَحْرِ هَارِبُهْ
١١ – وأَرْعَنَ يَغْشَى الشَّمْسَ لَوْنُ حَدِيدِهِ ... وَتَخْلِسُ أَبْصَارَ الكُمَاةِ كَتَائِبُهْ
١٢ – تَغَصُّ بِهِ الأَرْضُ الفَضَاءُ إِذَا غَدَا ... تُزَاحِمُ أَرْكَانَ الجِبَالِ مَنَاكِبُهْ

---

(١) مقارف : مرتكب

(٣) القذى : غبار يصيب العين فيؤذيها . والمراد به هنا : ما يعكر صفو الماء مما يقع فيه .

(٤) صعر خده : مال به عنا تكبراً .

(٥) الخطي : الرمح . الثعالب : طرف الرمح . يزحف : يهجم . بالحصى : العدد الكثير .

(٦) في خدر أمها : أي في خبائها أي قبل شروقها .

(٧) المثالب : المعايب والعار .

(٨) المثار : بقايا الأثر . النقع : الغبار أراد به غبار الحرب .

(٩) السبائب : قطعة من القماش أراد بها الراية .

(١٠) الإسار : الأسر . لاذ : احتمى .

(١١) أرعن : جيش كثير العدد . تخلس : تسلب . الكماة : الأبطال الشجعان . كتائبه : فرقه .

(١٢) مناكبه : جوانبه .

التعريف بالشاعر :

هو بشَّار بن بُرْد بن يرجوخ ، فارسي الأصل ، رأس الشعراء المحدثين ولد عام ٩١ هـ ، ونشأ في بني عُقَيل نشأةً عربية خالصة ، فاستوى لسانه على الكلام الفصيح .

قال بشار الشعر في سِنٍّ مبكرة ، فما كاد يبلغ العاشرة حتى تفجرت موهبة الشعر عنده ، ونزعت نفسه إلى قول الهجاء ؛ لأن بيئته الاجتماعية كانت تضطرم بهذا النوع من الشعر ، ولم يتوان عن التعرض لكبار الشعراء ، كجرير الذي استصغره ولم يردَّ عليه .

وبشار شاعر مخضرم ، أدرك بني أمَية وبني العباس ، وهو شاعر مجيد أمسك بزمام اللغة وسخّرها في شعره بإتقان ، وكان لعوباً بالمعاني والألفاظ ، أتقن جميع أبواب الشعر ، فيَّاض الموهبة ، غزير المادة ، لا يتكلّف النظم ، فهو من الشعراء المطبوعين .

أجمع الرواة على أن بشاراً مات مقتولاً سنة ١٦٨ هـ بأمر من الخليفة المهدي حيث رماه بالزندقة .

الشرح :

يبدأ بشار هذه الأبيات في وصف أحد الجيوش الذاهبة لساحة القتال بذكر بعض الحِكَم الرائعة، التي تُنْبِئ عن تجربة الشاعر في هذه الحياة فيقول : إنك لن تجد شخصاً خالياً من العيوب في الحياة ؛وما دام الأمر كذلك ، فإنك يجب أن تتقبَّل رفيقك على ما فيه من عيوب ، وعليك أن تصل أخاك فهو يحسن مرة ويسيء أخرى ، ثم إن الحياة لن تصفو لأحد فهي تارة حلوة وتارة مُرَّة .

وبعد ذلك بدأ يذكر بداية المعركة ، وأنه هو وقومه لا يعاتبون الملك الجبَّار الظالم بالكلام ، وإنما بحدّ السيوف وبالحرب . ثم أخذ يصف الجيش الجرّار كثير العدد ، شاكي السلاح ، مشرعاً للرماح .

ثم يقول : بهذا الجيش خرجنا للقاء الأعداء مبكرين قبل طلوع الشمس ، والطلُّ لم يذبْ بعد من على ورق الأشجار ، وقد لاقينا الأعداء بقوة عارمة تسحقهم سحقاً ، ومن فرَّ منهم أدركه العار والخزي .

ثم يصف الشاعر في البيت الثامن احتدام المعركة فظلام المعركة والسيوفُ تتلامع من خلاله ،

أشبه ما يكون بالليل المظلم والكواكب تتهاوى متساقطة خلاله ، والغريب في الأمر أن بشاراً أعمى ، ولكن موهبته الشعرية هدته إلى هذا الوصف الجميل .

وعند نهاية المعركة وبعد أن حمل الجيش على الأعداء حملة شعواء انهزموا ، فهم بين قتيل وجريح وأسير أو هارب .

وأخيراً يأخذه الزَّهْوُ بالنصر فيعود إلى وصف الجيش ، فيذكر أن ما مع الجيش من الحديد والسلاح يغطي الشمس لكثرته ، ويلمع في أشعة تختلس أبصار الشجعان وتسلبها ، ولكثرة عدد ذلك الجيش الذي ملأ الآفاق ضاقت الأرض عن استيعابه فراح يزاحم الجبال بجوانبه ونواحيه .

التعليق :

لقد استعرض الشاعر في قصيدته صوراً جميلة من الخيال ، أكسبت المعنى قوة وتأثيراً في النفس، فالشمس مختفية لم يظهر منها إلا شيء يسير ، كالفتاة المستترة وراء الخدر ، والجيش ضخم جداً كثير العدد والعدة ، كقطعة من الليل الزاحف ، والموت يذاق له طعم كالشيء المأكول ، وفي البيت الثامن صورة سبق توضيحها .

أما العاطفة فقوية ثائرة ، تناسب وصف المعارك ، مشوبة بالفخر المنساب من مقدرة شعرية فريدة، وقد تحوَّلت هذه العاطفة الثائرة في نهاية القصيدة ، إلى عاطفة فرح وهزج بانتصار الجيش على عدوه .

أما المعاني فتمتاز بالوضوح والتسلسل المنطقي ، حيث وصف قدوم الجيش إلى ساحة القتال ، ثم وصف المعركة فنهايتها . وقد اشتملت القصيدة في بدايتها على حكم رائعة نابعة عن تجربة . فقلَّما تجد صديقاً خالياً من العيوب ، كما أن الحياة لن تصفو لأحد ، ثم إن من أراد الراحة لا بد أن يتعب ويهجر اللذائذ والشهوات .

وإذا نظرنا إلى ألفاظ القصيدة وعباراتها وجدنا أنها مناسبة لغرض الفخر ، ووصف المعارك مثل استخدامه لـ (الجبَّار ، صعّر ، يزحف ، الخطي ، بضرب ، نَجى الفرار ، مثار النقع) وهي ألفاظ موحية تناسب جو المعارك الصاخب ، والحروب الطاحنة التي لا تُبقي ولا تَذَر؛ فيعيش الناس خلال هذه الفترة في جوٍّ يَسُوده الخوف والذعر .

وعلى العموم فهذه القصيدة من أَرْوَعِ ما قيل في الوصف ، لما تمتاز به من وضوح المعاني ، وروعة التصوير ، وسلاسة العبارات ، ولذا فهي إحدى غُرر الشعر في العصر العباسي .

مناقشة

١- أضع عنواناً مناسباً لهذه القصيدة .

٢- ما البيت الذي يشير إلى أنه لا يوجد بشرٌ خالٍ من العيوب ؟

٣- الدنيا لا تصفو لأحد ، كيف صور الشاعر هذه الفكرة ؟

٤- أوضح جمال الصورة في البيت الثامن ، وما أثر ذلك في المعنى ؟

٥- يَدُلُّ أحد أبيات القصيدة أن المعركة انتهت لصالح قوم بشار ، فما هذا البيت ؟

٦- تعدُّ القصيدة من عيون الشعر العربي ، فبم امتازت ؟

٧- أوضح جمال التقسيم في البيت العاشر .

٨- يشير أحد الأبيات إلى أن جيش قوم بشار كثير العدد والعدة فما هذا البيت ؟

٩- أصِفُ عاطفة الشاعر في هذه القصيدة ، وأوضح نوعها.

١٠- هل ألفاظ القصيدة مناسبة للغرض ؟ أمثل لذلك .

١١- في قول الشاعر : « تغص به الأرض» صورة جميلة . أوضحها .

٢ - أبو العتاهية في الزهد

النص :

١- إذَا ما خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْماً فَلاَ تَقُلْ ... خَلَوْتُ ولَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ
٢- ولاَ تحسَبَنَّ اللَّهَ يُغْفِلُ مَا مَضَى ... ولاَ أنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ
٣- لَهَوْنَا لَعَمْرُ اللَّهِ حَتَّى تَتَابَعَتْ ... ذُنُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ ذُنُوبُ
٤- فَيَا لَيتَ أنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى ... ويَأْذَنَ في تَوْبَاتِنَا فَنَتُوبُ
٥- إذَا مَا مَضَى القَرْنُ الذي كُنْتَ فِيهِمُ ... وَخُلِّفْتَ في قَرْنٍ فأنْتَ غَرِيبُ
٦- وإنَّ امْرأً قَد سَارَ خَمْسِينَ حِجَّةً ... إلَى مَنْهلٍ مِنْ وِرْدِهِ لَقَرِيبُ
٧- نَسِيبُكَ مَنْ نَاجَاكَ بِالوُدِّ قَلْبُهُ ... وَلَيسَ لِمَنْ تَحْتَ التُّرَابِ نَسِيبُ
٨- فَأحْسِن جَزَاءً مَا اجْتَهَدْتَ فَإنَّمَا ... بِقَرْضِكَ تُجزَى والقُرُوضُ ضُرُوبُ

التعريف بالشاعر :

أبو العتاهية هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، ولد سنة ١٣٠ هـ ، كان أبوه من الموالي ، وكان أبو العتاهية دميم الوجه ، قبيح المنظر ، نزعتْ به نفسه إلى اللهو والمجون في أوّل حياته ، ثم أخذ يتحول عن حياة اللهو والمجون إلى حياة الزهد والتَقَشُّف ، وأهم موضوعاته الشعرية الزهد والمديح ، وقد ابتعد أسلوبه عن الغرابة والتعقيد ، وكانت له أذن موسيقية ، جعلته يخترع أوزاناً جديدة لا تدخل في بحور الشعر العربي المعروفة . توفي -رحمه الله- في بغداد سنة ٢١٠ هـ .

الشرح :

هذا نموذج لشعر أبي العتاهية في الزهد ، وقد أراد أبو العتاهية أن يذكّر بأن الله لا يخفى عليه عمل من أعمال عباده ، فلا يتصوَّر إنسان أنه حين يخلو لنفسه قد بعد عن عيون الناس ورقابتهم ، فالله

سبحانه وتعالى هو الرقيب الأعظم لا تَخْفى عليه خافية .

وإذا ارتكب الإنسان ذنباً ، فرحمة الله واسعة ومغفرته قريبة ، إذا ما توجَّه بالتوبة إلى خالقه ؛وهو يعيش غريباً إن لم يعش في زمنه ، ومن يبعد عن رحمة ربه ضاعت نفسه وضل طريقه ، فعليه أن يسير في طريق الخير والتوبة ، لينال مأربه من غفرانه ونعيمه سبحانه وتعالى ، ويقول أبو العتاهية : إن قريبك هو الذي يُخْلِص لك النصح ويحضك على الصلاح ، والأخذ بشعائر الدين ، وليست القربى هي قربى الدم ، وليس النسب هو المصاهرة ، ومن أقرض قرضاً حسناً وعمل عملاً صالحاً ، وعبد عبادة مخلصة ، لقي جزاءه في جنة الله وفي رحمته .

التعليق :

تعدُّ أفكار النص في مجملها صورة لدعوة الزهد في هذا العصر ، ومقاومة ما حلَّ ببعض الناس من انحلال خُلُقي وديني ، لما شاع فيه من المجون والزندقة .

وقد عالج الشاعر أفكاره بأسلوب سَلِس ، وتعبير واضح ، وبُعْد عن الألفاظ الغامضة والخشنة ، غير أنه لم يُغْرق في التصوير ، بل عمد إلى المباشرة والتقرير ، وصوغ النصائح بأسلوب الحكمة القديم المألوف في الشعر العربي السابق عليه ؛ وهو ما أسبغ على أبياته وقار الشعر الموروث ، وجذب إليه أسماع الناس الذين كان ما يزال إيقاع هذا الأسلوب يثير إعجابهم .

والأبيات بعد ذلك تمثل هذا الذوق الذي استمر مؤثِّراً في القرون التالية لعصر أبي العتاهية ، فهو الذي سنَّ لهم هذا المنهج ، إذ هو أشهر شعراء الزهد في الأدب العربي .

مناقشة

١- متى نظم أبو العتاهية هذه القصيدة ؟ أوضح رأيي في أفكارها .

٢- أوضح أثر الثقافة الإسلامية في أبيات الشاعر .

٣- في البيت السادس صورة شعرية . أوضحها ، وأبين قيمتها الفنية .

٤- الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . في أيّ أبيات أبي العتاهية يوجد ذلك ؟

٥- ما نوع (ما) في البيت الأول ؟ وما فائدتها ؟

٦- من القريب في نظر الشاعر ؟ وما البيت الدال على ذلك ؟

٧- ما الجديد الذي أضافه الشعراء العباسيون إلى شعر الزهد ؟ وهل هو واضح في أبيات أبي العتاهية ؟ أبيّنُ ذلك .

٨- كيف عالج أبو العتاهية أفكاره ؟ وما أثر ذلك في الناس ؟

٩- أشرح البيت الأخير بأسلوب أدبي ، وأذكر رأيي فيه .

٣ - أبو تمام يمدح المعتصم ، ويصف وقعة عموريّة

النص :

١ – السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ واللَّعِبِ

٢ – بِيضُ الصَّفَائحِ لا سُودُ الصَّحَائِفِ في ... مُتُونِهِنَّ جَلاَءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ

٣ – والعِلْمُ في شُهُبِ الأَرْمَاحِ لامِعَةً ... بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ لا في السَّبْعَةِ الشُّهُبِ

٤ – لَوْ بَيَّنَتْ قَطُّ أَمْراً قَبْلَ مَوْقِعِهِ ... لَمْ تُخْفِ مَا حَلَّ بالأَوْثَانِ والصُّلُبِ

٥ – فَتْحُ الفُتُوحِ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ ... نَظْمٌ مِنَ الشِّعْرِ أو نَثْرٌ مِنَ الخُطَبِ

٦ – فَتْحٌ تَفَتَّحُ أبوابُ السَّمَاءِ لَهُ ... وتَبْرُزُ الأَرْضُ في أَثْوَابِهَا القُشُبِ

٧ – يَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّورِيَّةَ انْصَرَفَتْ ... عَنْكَ المُنَى حُفَّلاً مَعْسُولَةَ الحَلَبِ

٨ – أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي الإِسْلاَمِ في صُعُدٍ ... والمُشْرِكِينَ ودَارَ الشِّرْكِ في صَبَبِ

٩ – لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بِهَا ... لِلنَّارِ يَوْماً ذَلِيلَ الصَّخْرِ والخَشَبِ

١٠ – غَادَرْتَ فِيهَا بَهِيمَ اللَّيْلِ وهْوَ ضُحًى ... يَشُلُّهُ وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ

١١ – حَتَّى كَأَنَّ جَلاَبِيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ ... عَنْ لَوْنِهَا أَوْ كَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبِ

١٢ – ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ والظَّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ ... وظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ في ضُحًى شَحِبِ

---

(١) إنباء : إخبار . الحدّ : الفصل .

(٢) بيض الصفائح : يعني السيوف . سود الصحائف : يعني الكتب . المتون : جمع متن ، وهو حدّ السيف . الرِّيب : الظنون والشكوك .

(٣) العلم : المراد به الخبر اليقين . شهب الأرماح : أسنّتها . الخميسين : مثنى الخميس ، وهو الجيش ، سُمّي بذلك لأنه ينقسم خمسة أقسام . السبعة الشهب : الطوالع التي أرفعها زحل وأدناها القمر .

(٤) الصُّلُب : جمع صليب ، يشير إلى المحاربين من النصارى .

(٥) فتح الفتوح : إشارة إلى فتح عمورية وانتصار المعتصم على الروم .

(٦) القُشُب : جمع قشيب وهو الجديد .

(٧) حفّلاً : جمع حافل ، وهي الناقة التي امتلأ ضرعها باللبن . معسولة الحلب : حلوة اللبن . هو كناية عن صدق النتائج .

(٨) الجدّ : الحظ . صعد : مكان يصعد فيه . صبب : مكان ينحدر فيه .

(١٠) بهيم الليل : الليل الذي لا ضوء فيه . يشلّه : يطرده .

(١١) جلابيب : جمع جلباب ، وهو القميص ، يريد طبقات الظلام .

(١٢) شحبٌ : متغيّر .

١٣ – تَـدْبيرُ مُعْتَصِـمٍ بالله ، مُـنْتَقِـمٍ   للَّـهِ ، مُـرتَقِبٍ في اللَّـه ، مُرْتَـغِبِ
١٤ – لمْ يَغْزُ قَوْماً وَلَـمْ يَنْهَضْ إلى بَـلَـدٍ   إلَّا تَـقَدَّمَـهُ جَـيْشٌ مِـنَ الرُّعُبِ
١٥ – لَوْ لَـمْ يَقُدْ جَحْفَلاً يَوْمَ الوَغى لَغَـدَا   مِنْ نَفْسِهِ وَحدَهَا في جَحْفَلٍ لَجِـبِ
١٦ – خَليفَةَ اللَّـه جَـازَى اللَّـهُ سَعْيَكَ عنْ   جُـرْثُومَةِ الدِّينِ والإسْلامِ والْحَسَبِ
١٧ – بَصُرْتَ بِالرَّاحةِ الكُبْـرَى فَلَمْ تَرَهَا   تُـنَالُ إلا علىَ جِسْرٍ مِنَ التَّـعَبِ

التعريف بالشاعر

هو حبيب بن أوْس الطائي ، وُلِد بقرية « جاسم » قرب دمشق سنة ١٩٢ هـ . نشأ بدمشق وأخذ يتردَّد منذ نعومة أظفاره على حلقات المساجد ومجالس العلم والأدب ينهل مما كان يجري فيها ، وسرعان ما تدفَّقت شاعريته فبدأ يتجه بشعره إلى المدح .

رحل إلى مصر وهو شاب يتوقَّد ذكاءً ، فجالس بعض الأدباء وأخذ منهم الثقافة والأدب ، ولم يَطُل به المقام في مصر حيث قَفَل راجعاً إلى دمشق ، فاتَّصل بالخليفة المأمون وأشاد بانتصاراته على الروم . ثم أخذ يتردد على عدد من البلدان كخراسان حيث مدح واليها عبد الله بن طاهر ، وأخيراً عاد إلى العراق وأخذ يتغنَّى بانتصارات المسلمين وفتوحاتهم أيام المعتصم بالله .

ويعد أبو تمام من أبرز شعراء العصر العباسي ، وكان – أسلوباً وفنًّا – مرحلة في تطور الشعر الذي أضاف إليه المتنبي ثم المَعرِّي مراحل أخرى . وكان من خصائص شعره : التعمق في المعاني والغوص على الأفكار الدقيقة ، والميل إلى المحسنات البديعية ، والغموض الفني بسبب تعقُّد الصور وتوليد المعاني ، أخيراً ظهور أثر الفلسفة والمنطق في شعره .

توفي أبو تمام سنة ٢٣١ هـ ورثاه كثير من الشعراء في مقدمتهم الحسن بن وهب .

---

(١٣) مرتقب : جاعل ما يرقبه بين عينيه . مرتغب : راغب فيما يقرّبه إلى الله .
(١٥) جحفلاً : جيشاً عظيماً . الوغى : من أسماء الحرب . لجب : مضطرب .
(١٦) جرثومة الدين : أصله .

الشرح :

كان المنجمون قد نصحوا الخليفة المعتصم ألا يُسَيِّرَ جيوشه لقتال الروم في هذا الوقت خوفاً من الهزيمة ، حيث استطلعوا النجوم بزعمهم ، وأملت عليهم تنبؤاتهم أن الأمر ليس لصالح المسلمين ، ولكن المعتصم سيَّر جيشه رغم هذه التنبؤات ، وهزم الروم على عكس توقعات المنجمين ومزاعمهم، لذا استغل أبو تمام كذب المنجمين ، وبدأ قصيدته في مدح المعتصم بالرد على تلك المزاعم وإثبات أن القوة الصادقة هي التي تحسم الأمور وليس المنجمون وكتبهم .

فهو نصر يشهد بصدق السيف ؛ وحدُه هو الفاصل بين الحقيقة والخرافة ، فالسيوف البيضاء هي التي تزيل الباطل وتظهر الحقيقة ؛ أما صحائف المنجمين السوداء فإنها تضيع الحقائق وتنشر الأباطيل ، والخبر اليقين تنطق به الرماح عند اشتداد القتال ، أما الكواكب السبعة التي اعتمد عليها المنجمون فلن تهدي إلى حقيقة في هذا الأمر ، ولذا فهي لا تخبر عن أمر قبل وقوعه ، ولو كانت تملك ذلك لأظهرت للمنجمين ما سيحدث للأوثان والصلبان .

إن هذا النصر الذي أحرزه المسلمون في فتحهم عمّورية يُعَدّ نصراً عظيماً يعجز الشعراء والخطباء عن وصفه ، إنه فتح مبين تفتحت له أبواب السماء استبشاراً بنصر دين الله ، وفرح المسلمون به فبرزت الأرض كالعروس في ثيابها الجديدة ، ثم يوجّه الشاعر الخطاب إلى هذا اليوم المجيد قائلاً : لقد تحققت الأماني العظيمة الحلوة فيك ، وبقدر ما نال أبناء الإسلام في هذا اليوم من الرفعة والعلو، فإن غيرهم من المشركين قد أصابهم الذلّ في عُقْر دارهم وانحطَّت مكانتهم .

ثم يتَّجه بكلامه إلى الخليفة مصوِّراً أثر المعركة على هذه المدينة قائلاً : يا أمير المؤمنين لقد أشعلت هذه الحرب ناراً أكلت الخشب ، وصهرت الصخر في هذه المدينة ، وارتفع لهيب الحرائق الذي طرد ظلام الليل ، وحوَّله إلى صبح مشرق حتى خُيِّل للناظر أن الشمس لم تغب عن هذا المكان، أو أن الليل غيَّر لونه الأسود وتخلَّص منه ، ثم إنَّ ضوء النهار قد تأثر بدخان هذه الحرائق الذي غيَّر إشراق الضحى إلى ظلمة من الدخان .

وفي الأبيات الأخيرة يمدح الشاعرُ الخليفةَ المعتصم بصفات الإخلاص ، وقوة الإرادة والجدّ في طلب الأمور . فهذه المعركة جاء تدبيرها من معتصم بالله يحتمي به ، وينتقم له من أعداء دينه ، وهو

يراقب الله فيما يفعل ، ويرغب بكل ما يقرّبه إليه ، والله بعد ذلك يمدّه بعونه ، وينصره بخوف الأعداء منه في كل غزوة يغزوها ؛ حتى غدا هذا الرعب جيشاً يتقدّمه إلى أعدائه ، والخليفة وحدهُ يُعدُّ قوة عظيمة عند المعارك ، بما يملك من قوة البأس والعزيمة التي لا تَفْتُرُ ، حتى ولو لم يكن معه جيش . ثم يخاطب الخليفة المسلم بما يليق به في هذا الموقف ، فهو خليفة الله الذي يحافظ على أصل هذا الدين ، ويدافع عن الإسلام ، ويصون الأحساب . ويأتي البيت الأخير حكمة بليغة تنطلق من واقع الانتصار العظيم للخليفة والمسلمين في هذه المعركة ؛ فالراحة الكبرى تكون بنيل المنى والمطالب والوصول إلى معالي الأمور ، ولا يتم ذلك إلا بالتعب من أجلها ، ومواصلة السير في سبيل الحصول عليها ، وهذا ما فعله الخليفة الذي حقق بتعبه ذلك النصر العظيم .

التعليق :

إن هذه الأبيات تصوِّر لنا عناية أبي تمام بعمق المعاني والغوص على الأفكار، أمّا فنّه التصويري فيتجلّى فيما أبدعه من صور حية مبثوثة في ثنايا النص ؛ فالسيف في البيت الأول كالإنسان الذي يأتي بالأنباء الصادقة . وعبارة «بيض الصفائح» أتى بها كناية عن السيوف في البيت الثاني ، أما في البيت الثالث فأسنَّة الأرماح كالشهب ، وفي الخامس تبرز الأرض في أثوابها القشب تشارك في الفرحة بأثواب جميلة كالعروس المتزينة ، وفي البيت السابع يتخيَّل اليومَ إنساناً ويناديه على طريقة التشخيص. وإذا انتقلنا إلى بقية الأبيات وجدنا صوراً أخرى مثل وصفه المنى بقوله : « حُفَّلاً معسولة الحلب» وهذه من أوصاف النوق التي تمتلئ ضروعها باللبن الحلو ، وغير ذلك من الصور الشعرية كما في البيت العاشر والبيت الحادي عشر .

إن غزارة هذه الصور الخياليّة تدل على ما يتمتّع به أبو تمام من خصوبة في التصوير ، وقدرة فنية رائعة لا تقف عند هذا الحدّ ، بل تنتقل إلى مجال فني آخر ، وهو افتنانه في ألوان البديع نراها في الجناس التام بين (حدّ ، الحدّ) ، والجناس الناقص بين (الحدّ ، والجدّ) ، (الصفائح ، الصحائف) والطباق بين (الجد واللعب) و (بيض ، سود) .

وقد جاءت العاطفة في أبيات هذه القصيدة متلوِّنة بلون المشهد والفكرة ، فهي اعتزاز بالقوة وفرحة بعظمة النصر وإحقاق الحقّ في مُفْتَتَحِ النص ، وموقف اعتبار وتأمُّل أمام ما أصاب الروم من

كارثة ، وإعجاب بالخليفة الذي قاد هذا النصر إلى الإسلام ، مما جعل الشاعر يُمَجِّده ويعبِّر عما في نفسه من حب لهذا الخليفة داعياً له كما في البيت السادس عشر .

والقصيدة التي بلغت أكثر من سبعين بيتاً صوَّرت تلك الحرب تصويراً رائعاً ، وأبرزت لنا كما رأينا الخصائص الفنية لشعر أبي تمام في عُمْق المعاني ، وخصوبة الصور وحَيَوِيَّتها ، ورصانة العبارة وجزالتها ، واستغلال ألوان البديع .

مناقشة

١- تلقَّى أبو تمام العلم والأدب في بداية حياته في أكثر من موطن . فما هذه المواطن ؟ وكيف تم له ذلك ؟

٢- القصيدة تصور حدثاً تاريخيًّا . فما الحدث ؟ وما مناسبته ؟

٣- ما التجديد الذي أحدثه أبو تمام في مطلع قصيدته التي يمدح بها المعتصم ؟

٤- ما الأفكار الرئيسة التي اشتملت عليها هذه القصيدة ؟ وما لون العاطفة في كل منها ؟

٥- استعان الشاعر بالمنطق العقلي في إبطال مزاعم المنجمين . أين يوجد ذلك ؟

٦- ما المقصود بقول أبي تمام : « فَتْح الفتوح » ؟ ولِمَ وصفه بذلك ؟ ولماذا فُتِحت أبواب السماء له؟

٧- في القصيدة كثير من الصور الخيالية الرائعة كما في الأبيات (٣، ٦، ٧، ١١، ١٢، ١٤) . أختار واحدة منها وأوضحها ، وأبيِّن سبب إعجابي بها .

٨- لجأ أبو تمام إلى فن بديعي عقلي يسمى « قانون الأضداد » وهو تصوير الشيء بضدِّه في الوقت نفسه . أين يوجد ذلك ؟

٩- في البيت الثالث عشر إيقاع جميل ، وفي البيت الأخير حكمة رائعة . أوضح كلاًّ منهما .

١٠- أبو تمام زعيم مذهب الصنعة الشعرية . أبيِّنُ أثر تلك الصنعة في النص .

١١- قصيدة (عمورية) من القصائد الشهيرة في الأدب العربي . أوضح سبب شهرتها في رأيي .

٤- ابن الرومي يرثي ولده

النص

١- بُكَاؤُكُمَا يَشْفِي وإنْ كَانَ لا يُجْدِي ... فَجُودَا فَقَدْ أَوْدَى نَظِيرُكُمَا عِنْدِي

٢- ألا قَاتَلَ اللَّهُ المَنَايَا وَرَمْيَهَا ... مِنَ القَوْمِ حَبَّاتِ القُلُوبِ عَلَى عَمْدِ

٣- تَوَخَّى حِمَامُ المَوْتِ أَوْسَطَ صِبْيَتِي ... فَلِلَّهِ كَيْفَ اخْتَارَ وَاسِطَةَ العِقْدِ ؟

٤- عَلَى حِينَ شِمْتُ الخَيْرَ مِنْ لَمَحَاتِهِ ... وآنَسْتُ مِنْ أَفْعَالِهِ آيَةَ الرُّشْدِ

٥- طَوَاهُ الرَّدَى عَنِّي فَأَضْحَى مَزَارُهُ ... بَعِيداً عَلَى قُرْبٍ قَرِيباً عَلَى بُعْدِ

٦- لَقَدْ أَنْجَزَتْ فِيهِ المَنَايَا وَعِيدَهَا ... وأَخْلَفَتِ الآمَالُ ما كَانَ مِنْ وَعْدِ

٧- لَقَدْ قَلَّ بَيْنَ المَهْدِ واللَّحْدِ لُبْثُهُ ... فَلَمْ يَنْسَ عَهْدَ المَهْدِ إِذْ ضُمَّ في اللَّحْدِ

٨- أَلَحَّ عَلَيْهِ النَّزْفُ حَتَّى أَحَالَهُ ... إِلَى صُفْرَةِ الجَادِيِّ عَنْ حُمْرَةِ الوَرْدِ

٩- وظَلَّ عَلَى الأَيْدِي تَسَاقَطُ نَفْسُهُ ... وَيَذْوِي كَمَا يَذْوِي القَضِيبُ مِنَ الرَّنْدِ

١٠- فَيَالَكَ مِنْ نَفْسٍ تَسَاقَطُ أَنْفُساً ... تَسَاقُطَ دُرٍّ مِنْ نِظَامٍ بلا عِقْدِ

١١- عَجِبْتُ لِقَلْبِي كَيْفَ لَمْ يَنْفَطِرْ لَهُ ... ولَو أَنَّهُ أَقْسَى مِنَ الحَجَرِ الصَّلْدِ

١٢- وإِنِّي وإنْ مُتِّعْتُ بِابْنَيَّ بَعْدَهُ ... لَذَاكِرُهُ مَا حَنَّتِ النِّيبُ فِي نَجْدِ

١٣- وَأَوْلَادُنَا مِثْلُ الجَوَارِحِ أَيُّهَا ... فَقَدْنَاهُ كَانَ الفَاجِعَ البَيِّنَ الفَقْدِ

---

(١) الخطاب للعينين : والمعنى أن بكاء العين يشفي من الهم ولكنه لا ينفع ولا يرد فاقدًا . أودى : هلك . نظيركما : شبيهكما.

(٢) حبات القلوب :يقصد أن الموت اختار أحبَّ الناس إليه .

(٣) توخى حمام الموت : أي تعمّده وتخيّره دون سواه .

(٤) شمت : قدّرت وتوقعت . آنست : أبصرت.

(٥) المزار : مكان الزيارة . والمعنى أن الميِّت بعيد على الرغم من قرب مكان دفنه ، قريب المكان بعيد المنال إلا بالذكريات .

(٧) كانت المدة بين مهده ولحده قصيرة جداً ، فلما ضمه القبر لم ينس عهد مهده لقصر ما بين العهدين.

(٨) الجادي : نبات الزعفران وهو أصفر اللون.

(٩) تساقط : أصلها تتساقط : أي تموت شيئاً فشيئاً . الرند : نبات من شجر البادية طيب الرائحة.

(١١) الصلد : الصلب الأملس .

(١٢) النيب : جمع ناب وهي الناقة المُسنّة .

التعريف بالشاعر :

ابن الرومي (٢٢١-٢٨٣هـ) شاعر مُجيد ، وعلم من أعلام الشعر في القرن الثالث الهجري، ويُعَدّ في الطبقة الثالثة من الشعراء الْمُحْدَثِين ، وهي الطبقة التي كان من أعلامها أبو تمام والبحتري وابن المعتز ، وورث مجد الشعر بعد طبقة أبي نواس ، وكان لها منهجها الأدبي الخاص الذي يقوم على العناية بالصناعة الشعرية ، وعلى توليد المعاني وعمق الخيال . وقد نبغ في فن السُّخرية والهجاء، وفي الشكوى والرثاء والوصف والعتاب ، وقصيدته في رثاء ولده من روائع الشعر العربي . ويمتاز ابن الرومي بتفضيله المعنى على اللفظ كما كان المتنبي ، فهو يطلب المعنى ولا يبالي حيث وقع من هجونة اللفظ وخشونته ، يقول ابن رشيق فيه : إنه أكثر الشعراء اختراعاً للمعاني ، وهو بديع المعاني بعيدها ، وهو طويل النفس في قصائده ، كثير التحليل والتوليد والاختراع فيها ، جميل التنسيق ، جزل الأسلوب ، سلس الألفاظ .

الشرح :

يبدأ الشاعر رثاءه بدءاً عقليًا حينما يقرُّ بأن البكاء يخفِّف من لوعة الحزن ، وإِن كان لا يفيد في ردِّ ذلك العزيز الذي طواه الردى، ويطلب من عينيه أن تجودا بالدمع ، إذ فقد من يساويهما إعزازاً، ثم يعبِّر عن غضبته على المنايا التي رمتْ أحب الناس عامدة ، فيبيِّن أن الموت لا يتخطف النفوس اعتباطاً، وإنما يُجيل نظره حتى يختار، وقد اختار أوسط صبيته لعلمه أنه أحب أولاده إليه ؛ لما رأى في لمحات وجهه من الدلائل التي تنبىء بالخير ، ولما رأى من أفعاله ما يدل على عقل وافر. ولكن الموت أخذه فأصبح بعيداً منه بعداً شاسعاً على الرغم من قرب مثواه، فذكراه لا تغيب عنه على الرغم من بعد جسده . ويواصل الشاعر حديثه عن هذه المصيبة عندما يقول: إن المنايا أنجزت وعيدها باختطافه حينما أصابه المرض، وخيَّبت آمالاً حلوة كان تراود أهله بشفائه .

ثم يستمرُّ في طبيعته المتدفقة حينما يُلحُّ على الصورة فيرسم كل جوانبها ، فهو هنا يرسم الطفولة الغضَّة رسماً موجزاً سريعاً بوضع المهد إِلى جانب اللحد ، فيقول : إِنه ما كاد يخرج من

المهد حتى تلقَّفه اللحد ، ويحرك فينا مكامن الحزن بتصويره ذلك الطفل البريء وقد انقضَّ عليه الموت ينقله سريعاً إلى اللحد، ويذكر سبب موته وهو ذلك النزفُ الذي ألحَّ عليه حتى حوَّله إلى اللون الأصفر ، بعد أن كان مُحْمَرَّ الوجنات كالورد، وعندها حُمِل على الأيدي وهو يجود بأنفاسه كأنه غصن أُصيب بالذبول بعد النضارة ، وكأن روحه شيء ماديٌّ يتساقط جزءاً جزءاً ، أو كأنه عقد ثمين تتساقط حَبَّاتُه حبَّة إثر حبة .

ويختم هذه الواقعة الحزينة بتعجبه من قلبه الذي لم يَنْشقَّ لهول تلك النهاية التي كان جديراً به أن يهتزَّ لها مهما كان قاسياً كالحجر، وهو وإن تمتَّع بأخويه بعده ، فلن ينساه ؛ لأن فَقْد أحد الأولاد كفقد إحدى الجوارح مصيبة عظيمة لا تَعْدِلُها مصيبة .

التعليق :

عرفنا فيما سبق أن ابن الرومي ذو نزعة عقلية ، يستقصي المعاني ويقيسها بأقيسة المنطق كما تلاحظ في مطلع القصيدة ؛ ولو أنه جعل المطلع تساؤلاً معبراً عن فرط الحزن « هل يشفي البكاءُ ؟ أو هل يجدي الدمع ؟» لكان أقرب إلى الإثارة العاطفية في هذا الموضع ، وتجد هذه النزعة أثناء حديثه عن الموت واختياره لأعز أولاده .

والطابع العاطفي الحزين يشيع على النص ، ولك أن ترى ذلك عندما طلب من عينيه أن تجودا بالدمع ، وفي البيت الثاني عندما بدأه بأداة التنبيه (ألا) التي تتيح للمتأوِّه المفجوع أن يمد نفسه شاكياً متألماً ، وأتبعها بالجملة الدعائية ، ثم يزيد التعبير عن الألم قوة بتصويره الأولاد وقوّة ارتباطهم بذويهم، وعاطفة الأسى والحسرة على فقد فلذة كبده واضحه جليّة وبخاصة في الأبيات (٣، ٥،٩،١٠) إذ عبَّر بجمل تقطر لوعة وألماً ، ولا تملك معها إلا أن تتأثر معه وتشاركه آلامه وحزنه الدفين .

وقد دفعت تلك العاطفة الحزينة الشاعر إلى أن يستخدم صوراً وأخيلة غاية في الجمال ، كالتشخيص في البيت الأول عندما يخاطب العينين ، وكتشبيه أولاده بحبات القلوب ، وتشبيه ابنه الأوسط بواسطة العقد ، وكالتجسيد في البيت الخامس عندما جسَّد موت ابنه بـ « طواه الردى» كما يُطْوى الثوب ، ولك أن تعود إلى شرح الأبيات لتتبين الصور الورادة في الأبيات (٨، ٩، ١٠، ١١، ١٣) .

وعلى العموم فالقصيدة تشتمل على عاطفة حزينة ، وخيال بديع ، وتنويع بين الجمل الخبرية والإنشائية ، مما أشاع في أجواء النص الحيويّة وقوة التأثير ، علاوة على ما اشتملت عليه من أنواع البديع ، كالطباق في قوله :« قريب وبعيد ، ومهد ولحد ، وصفرة وحمرة » وكالمقابلة بين حالتين نفسيتين متباينتين كما في الأبيات (٦ ،٧ ،٨) مما يدل على أقصى ما وصلت إليه حالة الشاعر من حزن وتفجُّع وألم .

مناقشة

١- مطلع القصيدة يدل على نزعة ابن الرومي العقلية . أوضح ذلك.

٢- من المخاطب في قول الشاعر :«بكاؤكما»؟وما معنى قوله: «فقد أودى نظيركما عندي»؟

٣- « ألا قاتل الله المنايا » .أذكر رأيي في هذه العبارة .

٤- في البيت الثالث صورة رائعة . أوضحها ، وأبيّن جمالها الفني.

٥- تكاد الأبيات (٦،٧،٨) تدور حول فكرة واحدة .أوضحها.

٦- ما نوع العاطفة في هذه القصيدة ؟ وما مدى عمقها وحرارتها؟ أوضح ما أقول.

٧- بم ختم الشاعر قصيدته؟ أوضح رأيي في ذلك.

٨- يقول النقاد :«إن ابن الرومي من الشعراء الذين يقوم شعرهم على العناية بالصناعة الشعرية العقلية». أستخرج من النص ما يدل على ذلك.

٩- بم تمتاز قصائد الرثاء عامة ؟ وهل يوجد ذلك قويًا في أبيات ابن الرومي ؟ أشرح ما أقول.

١٠- أستخرج من النص جملة خبرية مع بيان الغرض منها ، وأخرى إنشائية وأبيّن نوعها.

٥- من مقصورة ابن دريد *

النص:

١- يا ظَبْيَةً أشْبَهَ شَيْءٍ بِالمَهَا ... تَرْعَى الخُزَامَى بَيْنَ أشْجَارِ النَّقَا
٢- إمَّا تَرَي رَأْسِيَ حَاكَى لَوْنُهُ ... طُرَّةَ صُبْحٍ تَحْتَ أذْيَالِ الدُّجَى
٣- واشْتَعَلَ المُبْيَضُّ في مُسْوَدِّهِ ... مِثْلَ اشْتِعَالِ النَّارِ في جَزْلِ الغَضَا
٤- فَكَانَ كاللَّيْلِ البَهِيمِ حَلَّ في ... أرْجَائِهِ ضَوْءُ صَبَاحٍ فَانْجَلَى
٥- عَجِبْتُ مِنْ مُسْتَيْقِنٍ أنَّ الرَّدَى ... إذَا أتَاهُ لا يُدَاوَى بَالرُّقَى
٦- إذا أحَسَّ نَبْأَةً رِيعَ وإنْ ... تَطَامَنَتْ عَنْهُ تَمَادَى وَلَهَا
٧- كَثُلَّةٍ ريعَتْ للَيْثٍ فانْزَوَتْ ... حَتَّى إذا غَابَ اطْمأنَّتْ أنْ مَضَى
٨- نُهَالُ لِلأَمْرِ الذي يَرُوعُنَا ... ونَرْتَعِي في غَفْلَةٍ إذَا انْقَضَى
٩- إنَّ الجَدِيدَيْنِ إذَا مَا اسْتَوْلَيَا ... عَلَى جَدِيدٍ أدْنَيَاه لِلْبِلَى
١٠- وَالحَمْدُ خَيْرُ مَا اتَّخَذْتَ عُدَّةً ... وَأنْفَسُ الأذْخَارِ مِنْ بَعْدِ التُّقَى
١١- مَنْ لم تُفِدْهُ عِبَراً أيَّامُهُ ... كان العَمَى أوْلَى بِهِ مِنَ الهُدَى

(*) سميت القصيدة بهذا الاسم لأن آخر حرف فيها ألف مقصورة ،وهي مئتان وثلاثة وخمسون بيتاً .

(١) الظبية: هي أنثى الغزال ، شبه فتاته بها لجمالها وحسنها . المها :جمع المهاة وهي البقرة الوحشية .الخزامى: نبت أزهاره من أطيب الأزهار . النقا: القطعة من الرمل المحدودب .

(٢) إمَّا تري: الخطاب فيه للمؤنث وإما : أصلها (إن) الشرطية و(ما) الزائدة.حاكي : أشبه . طرة صبح : وجه الصبح، وطرة كل شيء حافته وجانبه. الأذيال : الأطراف .الدجى :الظلمة.

(٣) اشتعل : انتشر. الجزل: ما غلظ من الحطب. الغضا:نوع من الشجر له جمر يبقى طويلاً.

(٤) البهيم : الأسود .حل :نزل .أرجاؤه: أطرافه.انجلى :ذهب وانكشف.

(٥) مستيقن : عالم . الردى: الهلاك. الرقى: جمع رقية.

(٦) نبأة : الصوت الخفي. ريع : فزع . اطمأنت : هدأت وسكنت، وكذلك تطامنت . تمادى: استمر ودام. لها:غفل.

(٧) الثلة : الجماعة من الغنم. ريعت: فزعت. الليث: الأسد. انزوت:انقبضت.

(٨) نهال : نفزع . ترتعي : ترعى. انقضى: ذهب .

(٩) الجديدان:الليل والنهار. البلى: الفناء ،ويقال : بَلِيَ الثوب ،أي :رثّ.

(١٠) الحمد: الثناء. الأذخار: مايدَّخر للمستقبل.

(١١) عبراً: جمع عبرة هي التذكرة والموعظة. والمراد بالعمى: عمى القلب.

١٢– ولِلْفَتَى مِنْ مالِـهِ مَـا قَـدَّمَتْ يَـدَاهُ قَـبْلَ مَـوْتِهِ لاَمَـا اقْـتَنَى
١٣– وَإنَّـمَا الـمَرْءُ حَـدِيـثٌ بَـعْـدَهُ فَــكُنْ حَـدِيثًا حَـسَنًا لِـمَنْ وَعَى
١٤– وآفَـةُ العَـقْـلِ الهَـوَى فَمَنْ عَـلاَ عَـلَى هَـوَاهُ عَـقْـلُهُ فَـقَدْ نَجا
١٥– عَـوِّلْ عَـلَى الصَّبْرِ الجَمِيـلِ إنَّـهُ أمْـنَــعُ مَـالاذَ بِـهِ أولُـو الحِـجا

التعريف بالشاعر :

هو الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن دُرَيْد، وُلِد بالبصرة سنة٢٢٣هـ، وتوفي ببغداد سنة٣٢١هـ، وهو عالم وأديب ،بل إنه إمام عصره في اللغة والأدب والنحو و الصرف و الشعر ، وهو من مشاهير الطبقة الرابعة الذين نبغوا في بدء عهد الدولة العباسية .

أصيب ابن دريد في آخر حياته بالفالج الذي لم يدعه حتى قضى عليه حياته، رحمه الله رحمة واسعة، لقاء ما قدَّم من علم نافع انتفع به الأجيال من بعده .

الشرح:

لمقصورة ابن دريد شهرة عظيمة، فقد اهتمَّ بها العلماء و الأدباء وعارضها الشعراء، ونحن هنا نثبتها لشهرتها ولعلوِّ شأن قائلها ولما احْتَوَتْه من حِكَم وأمثال.

لقد بدأ الشاعر قصيدته بالغزل فقال إن فتـاته تُشْبه الغزال في الحسن وجمال القَدِّ، ولقد بالغ الشاعر في التشبيه فجعل الفتاة ظبية، إمعاناً في وصفها بالحسن والجمال.

ثم أخذ الشاعر يخاطب فتاته فيقول : إن تشاهدي رأسي الذي يشبه لونُه فلقَ الصبح يغطي ضياؤه غسق الليل وظلامه، وقد انتشر فيه الشيب مثل اشتعال النار في الحطب، لشدة الشوق واللهفة للحبيب ،تعلمي أنني بحاجة إلى أن ترفقي بحالي.

---

(١٢) اقتنى : اكتسب.

(١٤) آفة العقل : مفسدته.

(١٥) عول : اعتمد . أمنع : أقوى . أولو الحجا : أصحاب العقول.

وينتقل الشاعر إلى الحكمة فيقول :إني لأ عْجَبُ من شخص مستيقن بأن الموت إذا جاءه لايمكن أن يداويه بالرُّقى ، ومع ذلك يستمرُّ في غيِّه وضلاله ولا يُعِدُّ العدة للقاء ربه بالأعمال الصالحة ،ويقول: إن الشخص إذا حلَّت به مصيبة لايرتدعُ ولا يفيقُ من غفلته ويعود إلى ربه بل يتمادى في هواه ولهوه ، ويشبِّه أنماط الناس الذين لا يتَّعظون بالحوادث بالأغنام التي قفز عليها سَبُعٌ وفتك ببعضها ،أما ما بقي منها فإنه يعود لمرعاه ثانية وكأن شيئاً لم يحدث .

ثم يقول :إن مرور الليل والنهار على أي جديد يسلمانه إلى الهلاك والبلى .وإن خير ما يربحه الإنسان الكيِّس في حياته الدنيا أمران لا ثالث لهما: تقوى من الله العظيم أولاً ،وثناء الناس عليه ثانياً. ومن لم يتخذ من حوادث الزمن تذكرة وحِنْكة وخبرة، كان أولى بأن يتَّصف بعمى البَصيرة وفقد الذكاء ،من أن يُعدَّ في عِداد العقلاء .وإن المال عرض زائل ،فليس يبقى منه إلا ما أنفقه المرء في عمل البرِّ ،أما ما يحرص على بقائه ،فسوف ينتقل بعد موته إلى غيره ، وسوف تكون أعمال البر عمراً ثانياً للمرء ،يتناقله الناس في أحاديثهم بالذكر الحسن.

وأخيراً يقول الشاعر :إن ما يفسد العقل ويضره اتباع الهوى والشهوات بألا يتبع نظاماً ولا يحذر عقاباً، ومن غلب سلطان عقله على سلطان شهوته ،سلم من درك الانحطاط الخلقي . ولذا فعلى الإنسان أن يعتمد على الصبر الذي يمنعه من تلك الأفعال ، فإن ذلك أجمل بالعاقل، وأقوى ما يحتمى به.

التعليق :

لقد اشتملت الأبيات السابقة على صور جميلة ومعانٍ وحكم رائعة، على الرغم من أن القصيدة بشكلها العام هي من شعر العلماء، فهي نوع من الشعر التعليمي ،الذي يغلِّب الجانب الفكري والعقلي على الجوانب الأخرى ،فالصور في هذه القصيدة صور عادية؛كتشبيه الفتاة بالغزال والمها في الحسن والجمال ،بل إنه بالغ في هذا التشبيه فجعل الفتاة الظبية نفسها، وشبَّه الشيب بضياء الصبح والسواد بالليل ،كما شبه انتشار الشَّيبِ في الرأس باشتعال النار في الحطب ،وشبه هؤلاء الذين يتمادون في غفلتهم ولا تردعهم المصائب والحوادث بقطيع من الأغنام وقد هجم عليها سبع وقتل ما

قتل منها، وما نجا منها استمر في رعيه ونسي الموقف الذي مرَّ به.

والخيال في القصيدة عموماً جاء عرضاً بين ثنايا الحكم والمواعظ التي اشتملت عليها القصيدة، فالتشبيهات السابقة إنما هي تشبيهات مألوفة متداولة ،ليست مبتكرة، والشاعر لم يُرد التحليق بالخيال كغيره من الشعراء المبدعين والمطبوعين، ولكنه استخدم التشبيه لتقريب المعاني إلى ذهن السامع أو القارئ وتقويته ، ليؤثر فيها .

وعاطفة الشاعر في هذه القصيدة عاطفة دينية قوية مؤثرة وصادقة ؛ لأنها نابعة من إنسان ورع وتقي وعالم جليل نذر حياته للعلم والعبادة. وألفاظ القصيدة فصيحة خالية من الغرابة مختارة لا تحس بثقلها على السمع ، والموسيقا المنبثقة من النص تحسُّ أنها جاءت من تناغم الألفاظ وحسن السَّبْك .

مناقشة

١- لماذا سُمّيت مقصورة ابن دريد بهذا الاسم ؟

٢- بم شبه الشاعر فتاته؟ أوضح رأيي في هذا التشبيه.

٣- بم شبه الشاعر الشيب ،وسواد الشعر ؟

٤- يستخدم الشاعر أحياناً صوراً من الخيال في شعره، فلماذا؟

٥- لماذا شبه الشاعر أولئك الذين لا توقظ قلوبهم المصائب والحوادث بالأغنام؟

٦- قال الله سبحانه وتعالى :(واشتعل الرأس شيباً). ما البيت الذي استفاد منه الشاعر هذه الصورة الرائعة؟

٧- في القصيدة كثير من الحكم .أختار واحدة منها أعجبتني وأوضحها، مع بيان سبب إعجابي بها.

٨- الجديدان: الليل والنهار. أذكر ثلاثة من الأسماء المُثنَّاة على سبيل التغليب.

٩- يقول الشاعر :

ارفع لنفسك بعد موتك ذكرها ... فالذكر للإنسان عمر ثانِ

أختار من الأبيات ما يتفق مع معنى هذا البيت.

١٠- ليس للمرء في آخرته إلا ما قدمه في دنياه . أشرح هذه الفكرة في ضوء البيت الثاني عشر.

١١- في البيتين الأخيرين حكمة جاهلية .أحددها.

١٢- ما الصبر الجميل الذي ذكره الشاعر في البيت الأخير ،وجاء ذكره في سورة يوسف ؟

١٣- أوضح رأيي في عاطفة الشاعر ، و أعلل لما أقول.

١٤- أتحدث عن ألفاظ القصيدة وموسيقاها.

٦- المتنبي يمدح سيف الدولة، ويصف انتصاره على الروم

النص :

١- عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأتِي العَزَائِمُ ... وتَأتِي عَلَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ

٢- وتَعْظُمُ في عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا ... وتَصْغُرُ في عَيْنِ العَظِيمِ العَظَائمُ

٣- يُكَلِّفُ سَيْفُ الدَّولَةِ الجَيْشَ هَمَّهُ ... وقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الجُيُوشُ الخَضَارِمُ

٤- ويَطْلُبُ عِنْدَ النَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ ... وذَلِكَ مالا تَدَّعِيهِ الضَّرَاغِمُ

٥- هَلِ الحَدَثُ الحَمْرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا ... وتَعْلَمُ أيُّ السَّاقِيَيْنِ الغَمَائِمُ

٦- سَقَتْهَا الغَمَامُ الغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ ... فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَتْهَا الجَمَاجِمُ

٧- بَنَاهَا فَأَعْلَى، والقَنَا تَقْرَعُ القَنَا ... ومَوْجُ المَنَايَا حولَهَا مُتَلَاطِمُ

٨- وَكَيْفَ تُرَجِّي الرُّومُ والفُرسُ هَدْمَهَا ... وذا الطَّعْنُ آسَاسٌ لَهَا ودَعائمُ

٩- أتَوْكَ يَجُرُّونَ الحَدِيدَ كَأنَّهُمْ ... سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَائمُ

١٠- إذا بَرَقُوا لَمْ تُعْرَفِ البِيضُ مِنْهُمُ ... ثِيَابُهُمُ مِنْ مِثْلِهَا والعَمَائمُ

١١- خَمِيسٌ بِشَرْقِ الأرْضِ والغَرْبِ زَحْفُهُ ... وفي أُذُنِ الجَوْزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمُ

١٢- وَقَفْتَ وما في المَوْتِ شَكٌّ لِواقِفٍ ... كَأَنَّكَ في جَفْنِ الرَّدَى وَهْوَ نَائمُ

١٣- تُمرُّ بِكَ الأبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً ... وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وثَغْرُكَ بَاسِمُ

---

(٣) الخَضَارِم: جمع خَضْرِم، وهو الكبير العظيم من كل شيء.
(٤) الضراغِم: الأسود.
(٥) الحدث: اسم قلعة في بلاد الروم ووصفها بالحمرة لأنها تلطخت بدماء الروم الذين تحصنوا بها.
(٦) الغُرّ: ذوات البرق.
(٧) القنا: جمع قناة وهي الرمح.
(٨) ذا: اسم اشارة. آساس: جمع أُسّ. دعائم: جمع دعامة، وهي عماد البيت وكل شيء يُستند إليه ويُتقوى فهو دعامة.
(٩) الجياد: الخيل.
(١٠) البيض: السيوف.
(١١) خميس: جيش عظيم يتكون من خمس فرق. زَحْف: تقدم. الجوزاء: أنجم معروفة يضرب بها المثل في العلو. زمازم: جمع زَمْزَمة، وهي صوت لا يفهم لتداخله.
(١٣) كلمى: جرحى. هزيمةً: مهزومة. وَضّاح: مشرق.

١٤ – ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهِمْ عَلَى القَلْبِ ضَمَّةً   تَمُوتُ الخَوَافِي تَحْتَهَا والقَوَادِمُ
١٥ – نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ الأُحَيْدِبِ نَثْرَةً   كَمَا نُثِرَتْ فَوْقَ العَرُوسِ الدَّرَاهِمُ

التعريف بالشاعر:

هو أحمد بن الحسين الملقَّب بالمتنبي، وكنيته أبو الطيب، وُلِدَ بالكوفة سنة٣٠٣هـ لأب كان يسقي الماء لأهلها ،وفيها نشأ نشأته الأولى وترعرع، حيث تعلم القراءة في الكتّاب ،وكان ذكيًا محبًا للاستزادة، فلازم الوراّقين يطالع دفاترهم، وحضر حلقات العلماء ،وخالط الأدباء.

وكان طموحاً متوثّب النفس ،جعله ذلك يتردّد بين البادية والحاضرة، فاكتسب من الأولى صلابتها ونزعتها البدوية، ونهل من مَعِينها الصافي في اللغة ،واكتسب من الثانية علومها وثقافتها الأدبية.

بدأ المتنبي قول الشعر صغيراً منذ أن كان في الكتَّاب ،وأخذ يمدح بعض النابهين وذوي النفوذ في الكوفة، وتجوّل في أقطار البلاد الشامية ،حتى بدأ اتصاله بسيف الدولةالحمداني، ونال عنده الحظوة والرعاية الخاصة، يصفيه بأعظم مدائحه، ويسعد بما يناله من جاه ومال وفير، حتى دبّ خلاف بينهما بسبب الحسَّاد، فغادر حلب متجهاً إلى مصر ، حيث مدح واليها كافوراً الأخشيدي ؛ طمعاً في أن يوليه ولاية، ولكن كافوراً خيَّب ظنَّه، فاضطر إلى الهرب من مصر بعد أن هجاه.

ورجع إلى الكوفة سنة ٣٥١هـ وتنقل في فارس ثم عاد إلى الكوفة، وفي طريقه اعترضه فاتك الأسدي قريباً من بغداد ، وقتله سنة ٣٥٤هـ ومعه ابنه وبعض رفاقه. و المتنبي أعظم شعراء العربية حتى قيل : إنه مالئ الدنيا وشاغل الناس . وقد برع في جميع أغراض الشعر وبخاصة الفخر والحكمة والمدح . وكانت حكمه نابعة من نفسه التي خَبرَت الحياة والناس ،فصاغها صياغة صادفت هوى في نفوس الملايين الذين عشقوا شعره، فكأنما يعبِّر عما في نفوسهم جميعا . وكانت الحكم الرائعة، والصور الجميلة، والمعاني المبتكرة، والتعبير عن الذات من أهم ميزات شعر المتنبي.

---

(١٤) جناحيهم :الجناحان: جانبا المعسكر. الخوافي: من جناح الطائر أربع ريشات تتلو أربعاً قبلها هي القوادم التي في أول الجناحين

(١٥) نثرتهم: فرقتهم. الأحيدب: اسم جبل.

الشرح:

بدأ الشاعر قصيدته بالحكمة التي عُرف بها في شعره، فجاء المطلع استهلالاً رائعاً يمهّد لموضوع النص، وهو الحديث عن هذا النصر الحاسم ،ويؤكّد على أن العزائم بقدر أصحابها، فالعزائم القوية التي تطمح إلى أسمى الغايات تصدر عن أصحاب الإرادات القوية والهِمَم العالية، والفضائل العظيمة تنبع من النفوس الكريمة، وضعيف النفس يَستَعظم الأمور السهلة ،والطُّمُوحُ العظيم يستصغر الأمور الصعبة ، ويطلب ما هو أبعد منها ، ويرى الصعب سهلاً والمستحيل ممكناً، كما فعل سيف الدولة الذي كلَّف جيشه أن يقوم بما تقتضيه عزيمته من الغزوات، وهو أمر تعجز عنه الجيوش العظيمة ،وأراد أن يكون الناس مثله في الشجاعة والإقدام، وذلك ما لا تدَّعيه الأسود فكيف بالبشر.

وفي الأبيات (٥،٦،٧،٨)يلتفت الشاعر إلى قلعة الحدث سائلاً: هل تعرف هذه القلعة لونها بعد أن تغيّر بالدم ؟ وهل تعلم أي الساقيين لها أهي جماجم الروم التي سَقَتْهَا بالدم، أم السحائب التي سقتها بالمطر ؟فإنَّ ما أصابها من الدماء مثل ما أصابها من ماء السحاب. ويكشف عن الصورة بقوله:

سَقَتْهَا الغَمَامُ الغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ   فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَتْهَا الجَمَاجِمُ

وقد بنى سيف الدولة هذه القلعة بانتصاره على الروم، فأعلى بناءها ورماح المسلمين تقارع رماح الروم، والمنايا تسلب أرواحهم كالموج المتلاطم، حيث إن هذا الطعن فيها كالأساس والدعائم التي تستند إليها هذه القلعة في بنائها الجديد، فكيف بعد هذا يؤمِّل الروم والفرس هدمها؟

ثم انتقل في الأبيات (٩ ، ١٠ ، ١١) إلى وصف جيش الروم موجِّهاً الخطاب إلى سيف الدولة قائلاً : أتاك الروم زاحفين مسلَّحين بمُخْتَلِف الأسلحة التي تفيض وتغطي قوائم الخيل حتى كأنها تسير بغير قوائم، فإذا سطعت الشمس انعكس ضوؤُها بريقًا على هذه الأسلحة فلا تتميز السيوف من الفرسان؛ لأنهم يلبسون دروعا وخوذات كالسيوف، وهذا الجيش كثير العدد يملأ الأفق شرقاً وغرباً ، وتصدر منه أصوات تبلغ عَنَان السماء يختلط فيها صليل السلاح وصهيل الخيل وأصوات الرجال.

ثم يعود الشاعر في الأبيات (١٢،١٣،١٤،١٥) إلى مدح الأمير بالشجاعة والثبات مخاطباً إياه

بقوله : إنك قد وقفت في ساحة القتال والموت المحقَّق مطمئنًا ، كأنك محفوظ في جفن الردى وهو نائم ،فلم يُصِبْك أذى ، أما أبطال العدو فهم يمرُّون بك جرحى تعلو وجوههم ظلمة الهزيمة والخيبة، أما وجهك فمشرِق بالنصر ،وثغرك باسم مبتهج ، وأما قدرتك في المعركة فبرزت عندما هجمت هجمة شديدة على جناحي جيش العدوّ المتمثّلين بجانبيه فَضَممْتَهما على قلب الجيش حتى اخْتَلّ نظامه وضعفت قواه ، وأصبح كطائر يَضغط جناحاه على قلبه فيهلك . وقد حققت النصر على أعدائك ، وجعلت جثثهم فوق جبل الأحيدب كما تنثر الدراهم فوق العروس .

التعليق :

جاءت هذه الأبيات معبرةً تعبيراً صادقاً عن فنّ المتنبي وعبقريته الشعرية والفذّة في الصورة الشعرية، فتأمَّل تلك الكنايات التي جعلها دليلاً حسّياً على المعنى الذي يقصده، وأراد منها ما يلزم من معناها ،فمثلاً حينما أراد أن يعبّر عن كثرة السلاح قال كناية عن ذلك :« يجرّون الحديد»، و«جياد ما لَهُنّ قوائم » وحينما أراد في البيت الحادي عشر أن يعبر عن كثرة الجيش قال :«بشرق الأرض والغرب زحفه» إذ يلزم من كون زحف الجيش في شرق الأرض وغربها أن يكون هذا الجيش كبيراً ،أما قوله «والقنا تقرع القنا» فتعبير عن التحام الجيش بذكر ما يلزم منه مِنْ تقارع الرماح،كما أن قوله: «وجهك وضّاح وثغرك باسم» كناية عن الثقة بالنصر والظفر على الأعداء.

وانظر إلى لون آخر من الفنّ التصويري في هذا المعنى ، حينما لجأ الشاعر إلى التشخيص الذي يستنطق الجماد والحيوان ، فيشارك غيره من الإنسان فيكون من وراء ذلك حيوية الموقف، وروعته، كما فعل في البيت الرابع الذي جعل فيه الأسُود تتوقف عن دعوى الشجاعة والإقدام عندما ترى شجاعة الممدوح وإقدامه، ومثله قوله:« هل الحدث الحمراء تعرف لونها ؟» حيث صوّر القلعة بصورة إنسان يفكر، وقوله:« كأنك في جفن الردى وهو نائم» حيث صور الموت بصورة إنسان له جفن وهو نائم ،وقوله:«وفي أذن الجوزاء منه زمام » فالجوزاء في خيال الشاعر لها أذن تسمع كالإنسان، أما البيت الأخير في النص فَنَدَعُهُ لك لتتأمل ما فيه من تشبيه وصورة شعرية.

ولعلك تَلْحظ أن في بعض الصور التي عرضناها عليك مبالغة عرفت عن المتنبي ، حتى صارت

سِمَة له ،دفعه إليها في هذا النص الرغبة في إبراز معانيه بقوة، كما في الأبيات (٣،٤،٦،٧،٩،١١) كما لجأ إلى استخدام البديع حين قابل بين شطري البيت الثاني، كما قابل بين شطري البيت الثالث عشر قاصدًا إبراز المعنى وقوته. كما طابق بين «شرق ،غرب» و«الأرض،الجوزاء» ،« الخوافي، القوادم».

أما ألفاظ النص فنلحظ فيها الجزالة وقوة الدلالة، في عبارات ملائمة للموقف والحال التي يصفها مثل اختياره« أهل العزم، العزائم، المكارم، العظائم» ،وهي ألفاظ توحي بطموح الشاعر وعظمة الممدوح. أما حين يصف جيش العدو وقوته فلهذا الوصف ألفاظه المعبرة مثل :«يجرون الحديد، سروا بجياد، البيض ، خميس، زحفه». كما أن له ألفاظه المعبرة الموحية ،حينما يصف شجاعة سيف الدولة في جو المعركة الرهيب مثل:«وقفت، ما في الموت شك، جفن الردى، الأبطال ،كلمى هزيمة، ضممت جناحيهم، نثرتهم».

مناقشة

١- كان لتردُّد المتنبي بين الحاضرة والبادية أثره الواضِح في شخصيته الأدبية. أوضِّح ذلك.

٢- نال المتنبي حظوة عند سيف الدولة ، ثم فَتَرَتْ العلاقة بينهما بعد ذلك ، فما العامل الذي هيأ لكلتا الحالتين؟

٣- ما أبرز الأغراض التي طرقها المتنبي في شعره؟

٤- أرَّخ المتنبي في النص السابق لإحدى معارك سيف الدولة . أذكر شاعراً آخر أرَّخ لمعركة من معارك المسلمين كما فعل المتنبي ، وأذكر المعركة.

٥- خرج المتنبي في هذا النص على منهج القصيدة العربية .أفسِّر ذلك.

٦- أوضح الحكمة التي أوردها المتنبي في البيتين الأول والثاني ،وأبيِّن سبب تأثرنا بحكم المتنبي .

٧- ما المقصود بالحدث ؟ولم وصفها المتنبي بالحمرة ؟

٨- بِمَ وصف المتنبي جيش الروم؟

٩- أوضِّح كلاًّ من الصور الشعرية الواردة في البيتين الخامس والسادس .

١٠- بالغ المتنبي في تصوير رهبة المعركة واحتدامها . فما الأبيات الدالة على ذلك؟
١١- كيف صوَّر المتنبي شجاعة سيف الدولة ؟ أحدِّد الأبيات الدالة على ما أقول.
١٢- منظر الجثث مفرقة على الجبل منظر كَرِيه ، ومنظر الدراهم وهي تُنثر على رأس العروس منظر سعيد. فهل هناك تلاؤم بين الصورتين؟ أوضح ما أقول.
١٣- في الأبيات كثير من خصائص شعر المتنبي . أعدِّد ما أجده منها.

٧- أبو العلاء المعري يرثي فقيهاً

النص:

١- غَيْـرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِـي واعْتِقَـادي　　نَـوْحُ بَـاكٍ ولا تَـرَنُّـم شَـادِ

٢- وشَـبِيهٌ صَوْتُ النَّعِيِّ إذا قِيـ　　سَ بِـصَوْتِ الـبَشِيرِ في كُـلِّ نَادِ

٣- أَبَـكَتْ تِـلْكُمُ الحَمَـامَةُ أمْ غَنْـ　　ـتْ عَلَى فَرْعِ غُصْـنِهَا الـمَيَّـادِ

٤- صَـاحِ هَـذِي قُبُورُنَا تَمْلأُ الرَّحْـ　　ـبَ فـأَيْنَ القُبورُ مِنْ عَهْدِ عَـادِ

٥- خَـفِّفِ الـوَطْءَ ما أظُنُّ أدِيمَ الْـ　　أرْضِ إلَّا مِـنْ هَـذِهِ الأجْـسَادِ

٦- وقَـبِيحٌ بِنَا وإنْ قَدُمَ العَهْـ　　ـدُ هَـوَانُ الآبَـاءِ والأجْـدَادِ

٧- سِـرْ إنِ اسْطَعْتَ في الهـواءِ رُوَيْـداً　　لا اخْـتِيَالاً عَلَـى رُفَاتِ العِبَادِ

٨- رُبَّ لَـحْدٍ قَدْ صَـارَ لَـحْداً مِـرَاراً　　ضَاحِكٍ مِنْ تَـزَاحُمِ الأضْـدَادِ

٩- وَدَفِـيـنٍ عَـلَى بَـقَايَا دَفِـينِ　　في طَـوِيـلِ الأزْمَـانِ والآبَـادِ

١٠- فَـاسْأَلِ الفَرْقَـدَيْنِ عَمَّنْ أحَسَّـا　　مِـنْ قَبِيـلٍ وآنَـسَـا مِنْ بِلادِ

١١- كَمْ أقَـامَـا عَلَى زَوالِ نَـهَـارٍ　　وأنَـارَا لِمُـدْلِـجٍ في سَـوَادِ

١٢- تَـعَبٌ كُـلُّهَا الحَيَاةُ فَمَا أعْـ　　ـجَبُ إلا مِـنْ رَاغِـبٍ في ازْدِيَادِ

١٣- إنَّ حُزْناً فِي ساعةِ الموْتِ أضْعَـا　　فُ سُـرُورٍ في سَـاعَةِ المِيلادِ

١٤- خُـلِقَ الـنَّاسُ للْبَقَـاءِ فَضَـلَّتْ　　أمَّةٌ يَحْـسَبُونَهُمْ لـلـنَّفَادِ

١٥- إنَّـما يُـنقَـلُونَ مِنْ دَارِ أعْـمَـا　　لٍ إلَى دَارِ شِـقْـوةٍ أو رَشَـادِ

---

(١) النوح: البكاء . الترنم: الغناء.

(٢) النعي : من يأتي بخبر الموت . البشير: من يأتي بالخبر السار.

(٤) الرحب : الأرض الواسعة.

(٥) أديم الأرض :ظهرها .

(٧) الرفات : حطام الشيء.

(١٠) الفرقدان : نجمان في بنات نعش الصغرى (الدب الأصغر) القبيل: الجماعة. آنس الشيء: أبصره .

(١١) المدلج : الساري في الليل ،والفرقدان : ليس لهما طلوع وأفول فهما ثابتان ، إنما يدوران حول القطب الشمالي وحده .

التعريف بالشاعر:

أبو العلاء المعري أحمد بن عبد الله بن سليمان (٣٦٣-٤٤٩هـ) حكيم العربية وشاعرها الكبير وفيلسوفها الناقد ، كان أحكم الشعراء بعد المتنبي ، ويزيد عليه في الغريب والأخيلة الدقيقة ، والحديث عن الطباع ووسائل الاجتماع وعادات الناس ،وسلوكهم وأخلاقهم ، ونظام الدول والقوانين والشرائع والأديان .. وشعره في المدائح والرثاء والوصف وبقية أغراض الشعر الأدبية أرق من شعره في النقد والفلسفة ، ولزومياته فريدة في الشعر العربي في نقد نظم الحكم والسياسة والأخلاق والمجتمع العربي في عصره .

الشرح :

هذه القصيدة من روائع الشعر العربي القديم ، ومن أعظم قصائد الرثاء في أدبنا وهي تقف مع روائع الآداب العالمية في وصف واحد ؛ وليس الرثاء هنا تنفيساً عن عاطفة ذاتية أو تجربة شخصية. إنما هو حدث فني إنساني ، يرتفع الشاعر به وبنفسه إلى أرقى مجالات الإنسانية.

إن أبا العلاء ينفي عن القصيدة الذكريات الخاصة ، ويقف أمام مشكلة الحياة و الموت وجهاً لوجه ، ينظر إليها نظرة الفيلسوف الحكيم لأهم قضايا الإنسان على الأرض .

ويبدأ أبو العلاء بطرح الفروق بين الموت والحياة ، فيذكر أن الحياة كالموت، والغناء كالبكاء. وسرعان ما تتحولّ البشارة بالمولود- مهما طالت حياته- صراخاً عليه ، حتى لكأن الصوتين متشابهان أو مختلطان اختلاط شَجْو الحمامة ، فلا يدري السامع أتبكي محزونة ، أم تغنّي مُبتهجة .

ويمضي أبو العلاء إلى قضية الموت فيفلسفها فلسفة عميقة قوية الدلالة ، فيطلب من قارئه أن يخفِّف من وطء أقدامه على الأرض ؛لأن ترابها من رفات آبائه وأجداده ، وكأن الأرض مقبرة كبرى ، وكم من لَحْدٍ فيها يضحك من تزاحم الأضداد فيه بين صالح وطالح، ثم يوجِّه خطابه إلى نجوم السماء التي تغيب وتبدو ليُهْتَدى بها ، فيسألها عن الجماعات التي أقامت وارتحلت .

وأخيراً لا يلْبث الشاعر أن يقول : إن الحياة كلها تعب وشقاء ، والعجيب هو تعلُّق الإنسان بها على

ما فيها من عناء لا نهاية له ، وإن الحزن على الميت والفجيعة فيه لأضعاف السرور ساعة ولادته .

ويختم الأبيات بأن ينكر على الناس اعتقادهم الفناء ؛ لأنهم خُلِقوا لا ليفنَوْا وإنما ليبقَوْا ، إذ يُنْقَلون من الدنيا إلى دار الآخرة ليسعدوا أو ليشقَوْا .

التعليق :

لقد اشتملت القصيدة على بعض الصور الخيالية ، ولكن الشاعر لم يُغْرِق فيها ؛ لأنه يتحدَّث عن حقائق وعن فلسفة الوجود ، وما جاء منها في النص إنما جاء عرضاً كقوله:

« ضاحك من تزاحم الأضداد» ، فالقبر لا يضحك إنما الضحك مقصور على الأحياء ،ولكن الشاعر استعار الضحك للقبر ، وكالتشخيص في البيت العاشر عندما وجه خطابه للفرقدين.

كما اشتملت القصيدة على كثير من المحسنات الجماليّة التي جاءت عفو الخاطر ،فلم تفسد المعنى ؛ لأنها غير متكلِّفة مثل الطباق بين (باك وشاد ،النعي والبشير، بكت وغنَّت،حزن وسرور، شِقوة ورشاد) وقد أسهمت تلك المحسنات في إبراز معاني الشاعر عندما ساوى بين الحياة والموت والفرح والحزن وفق فلسفته الخاصة به.

وتمتاز القصيدة عموماً بوضوح ألفاظها وبموسيقاها العذبة الجميلة ،وبأسلوبها العَذْب السهل المؤثر ، وبصدق عاطفتها ،وسعة خيالها وعمق تجربتها الإنسانية ،إنها تجربة لا تجد أحداً لم يمرَّ بها ، فَمَنْ منَّا لم يفقد قريباً أو حبيباً أو صديقاً ؟ إنها عاطفة عالمية يشترك فيها جميع الخلق، ومن منا أيضاً لم تذرف عينه أو يتأثر وجدانه عندما يستمع قصيدة رثاء ؟إنَّ عاطفة الرثاء إذا صدقت كانت أقوى العواطف الإنسانية.

وأخيراً يظهر في هذه القصيدة تأثُّر أبي العلاء المعري بالفكر اليوناني الفلسفي ، من خلال هذه الآراء الفلسفية الغريبة، التي لم يعهدها الأدب العربي إلا على يد أبي العلاء المعري.

مناقشة

١- أضعُ لهذه القصيدة عنواناً مناسباً .

٢- ما طبيعة الرثاء عند المعري في هذا النص ؟ وما فكرته عن الحياة ؟

٣- ما الغرض من الاستفهام في البيت الرابع والأمر في البيت الخامس؟

٤- في البيت الثامن صورة خياليّة ساخرة . أوضحها وأبيّن قيمتها الفنية .

٥- ما البيت الذي يشير إلى تشاؤم أبي العلاء؟

٦- ما الذي أدهش الشاعر وأثار عجبه؟ وما البيت الذي يشير إلى ذلك؟

٧- ماذا يقصد الشاعر من قوله :« من تزاحم الأضداد»؟

٨- في القصيدة ما يدل على أن أبا العلاء يؤمن بالبعث والحساب ، فما البيت الذي يدل على ذلك؟

٩- أوضح رأيي في ألفاظ القصيدة وموسيقاها ، وأعلل لما أقول .

١٠- أمثّل لبعض ما ورد في القصيدة من المحسنات الجماليّة ، مع بيان أثرها على المعنى.

١١- أذكر نظرتي للحياة ، أهي مُرّة بكاملها أم حلوة ؟ أوضح ذلك.

النثر في العصر العباسي

تطوره – خصائصه – أسلوبه – فنونه – أعلامه

ملامح عامة عن النثر في العصر العباسي:

تطوُّره :

يُعَدُّ العصر العباسي الأول من أزهى العصور التي تطوَّر فيها النثر تطوُّراً عظيماً ، وقد امتزجت الثقافات الأجنبية من فارسية وهندية ويونانية بالعقلية العربية ، فكانت عاملاً قوياً من عوامل ازدهار النثر ، بالإضافة إلى نموِّ العلوم الإسلامية وَرَفْدِها هذا النوع من الأدب بما منحته من سمات خاصة، تفرَّد بها عن تلك الآداب التي امتزجت به . وقد استطاع الكُتَّاب أن يُطوِّعوا النثر فيجعلوا منه قالباً تَنْصَهر فيه تلك الآداب والعلوم والمعارف ، فيغدو أدباً جديداً ذا طابع خاص ،ولم يكتفوا بذلك بل حاولوا معرفة الأسس القومية التي يمكن أن يظهر بها الكلام بليغاً.

خصائصه :

ظهر أثر العوامل السابقة في أسلوب الكُتَّاب والمنشئين : من هَجْر الألفاظ البدوية الجافَّة والألفاظ العامية المبتذلة ، والعناية بفصاحة اللفظ وجزالته ،والتأنُّق في اختياره لتكون هناك مُلاءمة دقيقة بين الكلمة وأختها في الجَرْس الصوتي ، والحرص على التعبير الموجز في مواضع والمطنب في مواضع أخرى حسبما يقتضيه الحال ، هذا إلى وضوح الأسلوب ،ودقة المعنى ، وترتيب الأفكار .

أسلوبه :

أصبح أسلوب النثر في هذا العصر يسلك مسارين متوازيين :

الأول : أسلوب السجع : حيث مال إلى استخدامه كثير من الكتاب ، حتى أصبح عامًّا في كل ما يصدر عن الدواوين من رسائل وتوقيعات ، ويمثله ابن العميد الذي احتكم إلى السجع وإلى فنون

البديع الأخرى في كل كتاباته .

الثاني : أسلوب الترسل :وهو أن يأتي الكاتب بكلامه مرسلا دون سجع ، ويعد ابن المقفع رائد هذا الأسلوب حيث تميزت كتابته بالوضوح والإيجاز ، ثم جاء الجاحظ وتميزت كتابته بالجدل والازدواج والتدقيق في اختيار الألفاظ ؛ لتتوافق مع الموضوع والموقف الذي قيلت فيه ،كما تميز بالاستطراد .

فنونه:

كان من سمات نهضة النثر استمرارُ فنونه التي شهدها العصر الأموي في الازدهار ،كالخطب والرسائل الديوانية والمناظرات والعهود والوصايا ، وتطوُّر بعضِها كالتوقيعات والرسائل الإخوانية والأدبية ، واستحداث بعضها الآخر كالقصة التي ظهرت مُتَرجَمَة عند ابن المقفع ومُؤلَّفة عند الجاحظ .

أعلامه:

ظهر على مسرح الكتابة صفوةٌ من كبار المنشئين للنثر الأدبي في أرقى صوره ، فكان منهم ابن المقفع ، والجاحظ ،وسهلُ بن هارون ، وعمرو بن مَسْعَدة ، وإِبراهيم بن العباس الصُّولي ، ومحمد بن عبد الملك الزيات ، وأبو حيَّان التوحيدي .

حالة النثر نهاية العصر العباسي:

لم يَكَدْ ينتهي العصر العباسي الأول حتى نرى النثر يَصْطَبِغ بما طرأ على الحضارة الإسلامية في العصر العباسي الثاني، من ترف وبذخ وميل إلى الزخرف والتَفَنُّنِ في الطلاء الخارجي ،ونعني بالزخرف تلك المحسنات البديعية التي بدأت تتسرَّب إلى الكتابة مقبولة في أول الأمر ؛ لقلَّة التكلُّف، كما ظهرت في بعض كتابة ابن العميد وأعلام مدرسته :

كالصاحب بن عبَّاد ، وأبي إسحاق الصَّابي ، وبديع الزمان الهمذاني ، الذي كان من أوائل مَنْ مال إلى اللعب و العبث في صناعة الكتابة ، فقد رُوِي أنه كان يكتب الكتاب المقترح عليه ، فيبتدئ بآخر سْطر منه ثم هَلُمَّ جراًّ إلى الأول ، ويقول بديع الزمان : إنه يستطيع أن يكتب كتابا يقرأ منه جَوابُهُ، أو كتابا يقرأ من آخره إلى أوله ، وهكذا لا نُغالي إذا قلنا : إن تلك المحسنات أخذت تَقْتَحم أذواق الكُتَّاب منذ ذلك الحين ، وتسيطر عليهم حتى صارت تُجْتَلب لذاتها دون أن تكون مجرد

وسيلة موسيقية للتعبير عما في النفس من مشاعر ، فكانت ذروة التكَلُّف الممقوت عند القاضي الفاضل ومدرسته في أواخر العصر العباسي الثاني وما تلاه .

أبرز فنونه :

١ – الخطابة :

كان للخطابة في أوائل هذا العصر مكانة في النفوس ، وسلطان على القلوب ؛ لاعتماد العباسيين عليها في توطيد الملك وترسيخ دعائمه ، وفي تحميس الجند ، وفي استقبال الوفود .

وكان للخلفاء الأولين ودعاتهم فيها الشأن الرفيع ، والشأو البعيد ،كالمنصور ، والمهدي،والرشيد،والمأمون ،وداود بن علي ، وخالد بن صفوان وغيرهم.

وقد امتازت الخطابة في تلك الفترة بجزالة الألفاظ ،وعدم الالتزام بالسجع ، وكثرة الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، وغلبة الإيجاز مالم تَدْعُ الضرورة إلى الإطناب .

ولما استقر الأمر لبني العبَّاس ، وقام الموالي بسياسة الدولة وقيادة الجيش ، ضعفت الخطابة لضعف القدرة عليها ، وقلَّة الدواعي إليها ، وحلَّت الرسائل محلها ، حيث قويت الكتابة ، واقتصرت الخطابة على خطب الجمع والعيدين والزواج ، على أن بعض الخلفاء أنفسهم ما برحوا يخطبون في الناس ويؤمُّونهم إلى عهد الخليفة الراضي .

ثم لما استعجم المسلمون وانتشر العِيُّ لم يستطع الخطباء إنشاء الخطب في الموضوعات المختلفة،فلجؤوا إلى استظهار خطب السابقين ، وأخذوا يُرَدِّدُونها على المنابر من غير فهم لمعناها، ولا علم لمغزاها . ودرجوا على هذه الحال حتى نهاية العصر التالي ، وهو عصر الدول المتتابعة .

٢–الرسائل الديوانية :

أخذ العرب في العصر الأموي وما تَبِعه من عصور بالأنظمة الفارسية ، ومنها الدواوين التي كانت تُنَظَّم بها أحوال الناس والخلافة ، كديوان الخراج والنفقات والجيش والخاتم والرسائل .

وقد كان يصدر عن الأخير ما يوجِّهه الخليفة والوزير أو غيره من رسائل في تصريف أمور الدولة. وكان على الكاتب الذي يريد أن يُعَيَّن في هذا الديوان أن يحيط بشتَّى العلوم والمعارف

المعروفة في عصره ، وفي مقدمتها علوم اللسان العربي ، وعلم الفقه، وذلك حتى يُجوِّد صناعته، وبذلك امتازت كتابتهم بالوضوح، وبالجمال الفنّي ، لأنهم يكتبون عن الخلفاء والوزراء والولاة والقواد . ومن هؤلاء الكتاب :يحيى البرمكي كاتبُ الرشيد، وابنه جعفر البرمكي ، والفضلُ بن سهل، وأخوه الحسن وزير المأمون .

٣–التوقيعات :

هي ما يُوقَّع به الخليفة أو الوزير أو الوالي على ما يُرْفَع إليه من شكوى أو تظلُّم [١]، وقد عُرفت منذ أيام عمر بن الخطّاب ، إذ نُسب إليه توقيع على كتاب سعد بن أبي وقاص–وقد استأذنه في بناء بيتٍ وهو والٍ على العراق – فكتب :« ابْنِ ما يُكِنُّك [٢] مِنَ الهَوَاجِر وأذَى المطر » .

وقد كثرت التوقعيات في الدولة العباسية ،ونُسبت إلى كثير من الخلفاء كالسفَّاح والمنصور والمهدي والرشيد ، والوزراء كجعفر بن يحيى البرمكي الذي يُعَدُّ من أبرع مَنْ أُثِرت عنه توقيعات، وكثيراً ما تكون التوقيعات آية من القرآن الكريم ، أو حديثاً نبويًّا ،أو حكمة من الحِكم، أو بيتا من الشعر .

ومما أثر من توقيعات بليغة توقيع الفضل بن سهل على قصة مظلوم :« كفى بالله للمظلوم ناصراً» ولما كتب أحدُ الولاة إلى المهدي يشكو سوء طاعة رعاياه وقَّع في الكتاب:

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [٣].

ووقَّع الرشيد إلى عامله في خراسان :« داوِ جُرْحَكَ لا يتَّسع ». ووقَّع جعفر البرمكي في كتاب جاءه في شكوى بعض عماله :« لقد كَثُرَ شاكوك وقلَّ شاكروك،فإمَّا اعتدلْتَ، وإمَّا اعتزلْتَ! » .

ونرى مما سبق أن التوقيعات تعتمد على : إيجاز القِصَر وبعض المحسنات البديعية كالجناس والمطابقة، وكذلك تعتمد أحياناً على الاقتباس .

---

(١) هي أشبه بما يُسمَّى في عصرنا الحاضر بالشرح على المعاملات.

(٢) يكنّك من الهواجر: يردّ عنك شدة الحر وسط النهار .

(٣) الآية ١٩٩ من سورة الأعراف .

٤- المَقَامات :

جمْعُ مَقامة وهي اسمٌ للمجلس أو الجماعة من الناس ، وهي حكاية قصيرة تدور حول بطل وهمي وراوية خيالي لغرض اجتماعي أو لغوي. وسُمِّيت الحكاية مقامة؛ لأنها تُذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة لسماعها ،وقد قيل إن بديع الزمان المتوفَّى سنة ٣٩٨هـ هو مُخْترعها ، ولكن ورد ذكرُ المقامات في كلام لابن قتيبة المتوفَّى سنة ٢٧٦هـ في كتابه (الشعر والشعراء) حيث يقول : « وكذلك الكلام المنثور في الرسائل والمقامات والجوابات » ولكنها لم تتخذ شكلها الحقيقي إلا على يد بديع الزمان .

فقد استوت المقامات على يده قصصاً قصيرة تحفل بالحركة التمثيلية ، وفيها تدور المُحاورة بين شخصين سمَّى أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبا الفتح الإسكندري .وقد نهج الحريري المتوفَّى سنة ٥١٦ هـ ، على منواله فجعل الحوار بين شخصين هما أبو زيد السروجي والحارث بن هَمَّام . ويظهر أبو الفتح الإسكندري أو أبو زيد السروجي أديباً شحَّاذاً يَسْتَدِرُّ عطف الناس بمواقفه بينهم وما يجرى على لسانه من فصاحة في أثناء مخاطبتهم.

وتبلغ مقامات بديع الزمان نَيِّفًا وخمسين ، يدور أغلبها حول أهل الكُدْية (الاستجداء) وحِيَلِهم في استخلاص الأموال والطعام .

وبعضها اتَّخذ من النقد الأدبي موضوعاً له ، كالمقامة القَرِيضيّة . وبعضها الوعظ الديني، وبعضها يصوِّر الحياة في بغداد .

وقد التزم بديع الزمان في مقاماته أسلوب السجع غالباً، وتخلّلت الروحُ الفكاهية البديعة كثيراً منها ، وعُنِي باختيار ألفاظه ، وتَقْصِير سجعاته ، وأضاف إليها بعض المحسنات الأخرى كالجناس والطِبَاق والتورية [(١)] ، وضمَّنها كثرة من الشعر ، وبثَّ فيها كثيراً من الأمثال ، واقتبس آياتِ القرآن الكريم . كما يُلحظ عليها كثير الغريب كثرةً مفرطة ، مما جعل بعض الباحثين يزعم أنها إنما أُلِّفت لغاية تعليمية هي التمرُّن على الكتابة والإنشاء وعلى مذاهب النظم والنثر.

وقد التزم الحريري ما التزمه الهمذاني ، إلا أنه فاقه في كثرة الغريب ، وكان أكثر منه تصنُّعاً وتَكَلُّفاً للبديع .

---

(١) التورية : الإتيان بكلمة لها معنيان قريب غير مراد وبعيد وهو المراد .

مناقشة

١- تطوّر النثر في العصر العباسي الأول تطوّراً عظيماً . ما العوامل التي أدّت إلى ذلك ؟ وما مظاهر هذا التطور ؟

٢- أتحدَّث عن فنون النثر في العصر العباسي وأبيِّـن ما تطوّر منها ، وما اسْتُحدث ، وما ظلَّ على حاله .

٣- تأثَّر النثر الفني في العصر العباسي الثاني بترف الحضارة ، ومال إلى الزخرف . أوضِّح ذلك، وأذكر اثنين من أعلامه في هذه الفترة .

٤- ازدهر فنُّ الترسّل في العصر العباسي في الكتابة على يد كلٍّ من ابن المقفع وسهل بن هارون والجاحظ ، فما سمات أسلوب كل منهم ؟

٥- سيطر السجع على أسلوب الأدباء في أواخر العصر العباسي ، أذكر أثر ذلك على النثر والكتابة ؟

٦- كيف كانت حال الخطابة في أول العصر العباسي وآخره ؟ أوضح ما أقول .

٧- امتازت الكتابة الديوانية في العصر العباسي بالوضوح والجمال ، فما سرّ ذلك ؟

٨- كثرت التوقيعات في الدولة العباسية ؛ فما المراد بها ؟ وما ملامح أسلوبها ؟ أورد مثالاً يوضح ما أقول .

٩- ما الفرق بين أسلوب الحريري وأسلوب الهمذاني في كتابة المقامة ؟

١ – خطبة لأبي جعفر المنصور

النص:

خطب أبو جعفر المنصور عند قتل أبي مُسْلِم الخُراساني ، فقال :

((أيُّهَا النَّاسُ ، لا تَخْرُجُوا مِنْ أُنْسِ الطَّاعَةِ إلى وَحْشَةِ الْـمَعْصِيَةِ ، ولا تُسِرُّوا غشَّ الأئمَّة ، فإنَّه لَـمْ يُسِرَّ أحَدٌ قطُّ مُنْكَرَةً إلَّا ظَهَرَتْ في آثار يَدِه ، وفَلَتَاتِ لِسَانِه ، وصَفَحَاتِ وَجْهِهِ ، وَأبْدَاهَا اللَّـهُ لإمَامِه ، بإعْزَازِ دينِه ، وإعْلاءِ حقِّه . إنَّا لنْ نَبْخَسَكُمْ حُقُوقَكُمْ ، ولَنْ نَبْخَس الدِّينَ حَقَّه عَلَيْكُمْ ، إنَّهُ مَنْ نَازَعَنا عُرْوَةَ هَذَا القَمِيصِ أجْزَرْنَاه خَبِيَّ هَذَا الغِمْدِ ، وإنَّ أبَا مُسْلم بَايَعَنَا وبَايَعَ النَّاسُ لَنَا ، عَلَى أنَّهُ مَنْ نكثَ بنَا فقَدْ أبَاح دَمَهُ ثُمَّ نَكَثَ بِنَا ، فَحَكَمْنَا عَلَيْهِ لأنفُسِنَا حُكْمَهُ عَلَى غَيْرِه لَنَا ، وَلَـمْ تَـمْنَعْنَا رِعَايَةُ الحَقِّ لَهُ مِنْ إقَامَةِ الحَقِّ عَلَيْه)).

التعريف بالقائل والمناسبة :

هو أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد ، ثاني الخلفاء العباسيين . كان معروفاً بالتقوى والصلاح ، ولي الخلافة سنة ١٣٦هـ ، ويُعَدُّ ممن أرسوا قواعدالدولة العباسية وثَبَّتوها بحزمهم وقوة شخصيتهم ، كما يُعَدُّ من الخلفاء العباسيين الذين عُنوا بتدوين العلوم وترجمتها توفي سنة ١٥٨هـ .

وقد خطب المنصور هذه الخطبة عندما قتل أبا مسلم سنة ١٣٧هـ ، وذلك أن المنصور كان قد أرسله لحرب عمِّه عبد الله بن علي – وكان قد خرج عليه بالشام – فما ظفر به أبو مسلم ، وغنم جميع ما كان في عسكره ، وانهزم عبد الله إلى البصرة ،أرسل المنصور بعض خدمه للحفاظ على ما في المُعَسكر من الأموال فغضب أبو مسلم، وقال : أمين على الدماء ، خائن في الأموال ! وشتم المنصور، وعزم على الخلاف والتوجُّه إلى خراسان ، فجعل المنصور يتلطَّف به حتى استقدمه إليه وقتله .

التعليق :

بدأ أبو جعفر خطبته محذراً من ترك الطاعة بما فيها من أمن وهدوء ، والإقدام على المعصية بما وراءها من خوف وعزلة ، كما حَـذَّر من غشِّ الأئمة ، ولو كان ذلك في السر والخفاء ، لأن أيَّ منكَر يُسِرُّهُ الإنسان لابدَّ أن ينكشف في عمل يعمله أو قول يقوله ، وعند ذاك يصيبه العقاب الذي لا مفرَّ منه وفي هذا قوة للدين وإظهار للحق على الباطل.

وانتقل بعد ذلك إلى بيان موقفه من الناس ، ومن أبي مسلم خاصة ، فقرّر أنه لن يظلمهم حقًّا هو لهم ، ولن يفرِّط في حقٍّ أو جبه الدين عليهم ، وأن أي فرد منهم يحاول أن يعتدي على نفوذ الإمام فلا جزاء له إلا السيف.

وعرض بعد ذلك لحادث أبي مسلم الخراساني ، فلخَّصه في أنه بايع الناس على الطاعة للعباسيين ، وكان يقتل من يَنْكُث بعهدهم ، ثم عاد أبو مسلم فنكث به ، فكان حقُّه العقاب الذي كان يفرضه على غيره دون أن تمنع رعاية الحق الذي له من إقامة الحد عليه .

وفي الخطبة نحسُّ قوة تركيز ، فألفاظها تسير مع الجوِّ النفسي لها ، فهي تهدأ تارة وتشتدُّ ، مما يدل على مهارة أبي جعفر المنصور وحكمته .

وأسلوب الخطبة يتميز بمتانة العبارة ، وجزالة اللفظ وقوته ؛ ليلائم موقف الغضب والتحذير. كما يظهر في الأسلوب عبارات التهديد والوعيد ، بجانب النُّصح ومحاولة الإقناع ، مع الاعتماد على ما قرره الإسلام من مسؤولية الحاكم عن الدين والرعية ، وماله من حق الطاعة والنصح.

مناقشة

١- ما المناسبة التي دعت أبا جعفر المنصور لإلقاء هذه الخطبة ؟

٢- كيف ينكشف من أسرّ الغش والمنكر ، كما جاء في هذه الخطبة ؟

٣- استخدم أبو جعفر المقابلة بين (أُنس الطاعة) و (وحشة المعصية) ؛ فما أثر هذا الاستخدام على المعنى ؟

٤- اشتملت الخطبة على عبارات تهديد وعبارات نصح ؛ أختار من الخطبة ما يمثّل النوعين .

٥- « **ولم تَـمْـنَـعْـنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه** » ، أشرح العبارة ، وآتي بنظيرها من النص.

٦- من عوامل نجاح الخطيب أن يكون مقنعاً للسامعين ؛ أدلّل على ذلك من هذه الخطبة .

٧- « **من نكث بنا قتلناه ، من نكث بنا أبحنا دمه** » ، أيُّ العبارتين أبلغ في إيضاح الفكرة ؟ ولماذا ؟

٨- بم يتميز أسلوب هذه الخطبة ؟ أستشهد لما أقول .

٩- هل هذه الخطبة مطابقة للمقام والحال ؟ أوضِّح ما أقول .

٢- وصف الصديق لابن المقفع

النص :

« وإنّي مُخبِرُكَ عن صَاحِبٍ لي ، كَانَ مِنْ أعْظَمِ النَّاسِ في عَيْنِي ، وكَانَ رأسُ مَا أعْظَمَه في عَيْنِي صِغَرَ الدُّنْيا في عَيْنِه ؛ كَانَ خَارجاً من سُلْطَانِ بَطْنِه ، فلا يَتَشهَّى مَا لا يَجد ، ولا يُكثِرُ إذَا وَجَد . وكَانَ خَارجاً مِنْ سُلْطَان لِسَانه ، فلا يَقُولُ مالاَ يَعْلَم ، ولاَ يُنَازِعُ فيمَا يَعْلَم. وكَانَ خَارجاً من سُلْطَانِ الجَهَالة ، فَلاَ يُقْدِمُ أبَدًا إلَّا عَلَى ثِقَةٍ بِمَنْفَعَة .

كَانَ أكْثَرَ دَهْره صَامتاً ، فَإذَا نَطقَ بَذَّ [1] النَاطِقِين . كَانَ يُرَى مُتَضَاعِفاً مُسْتَضْعَفاً ، فَإذَا جَاءَ الجِدُّ فَهُوَ اللَّيْثُ عَادِياً [2] كَانَ لا يَدْخُلُ في دَعْوَى ، ولا يَشْتَرِكُ في مِرَاء ، ولا يُدْلِي بحُجَّة حتَّى يَرَى قَاضِياً عَدْلاً وشُهُوداً عُدُولاً . وكَانَ لاَ يَلُومُ أحَداً عَلَى ما قَدْ يَكُونُ العُذْرُ في مِثْلِه حتَّى يَعْلَمَ مَا اعْتِذَارُهُ . وكَانَ لاَ يشْكُو وَجَعاً إلَّا إلَى مَنْ يَرْجُوعِنْدَهُ البُرْء . وكَانَ لاَ يستشيرُ صَاحباً إلَّا مَنْ يَرْجُو عِنْدَه النَّصيحَة . وكَانَ لا يَتَبَرَّمُ ، ولاَ يَتَسَخَّطُ ، ولا يَتَشَهَّى ولا يَتَشَكَّى . وكَانَ لا يَنْتَقِمُ على الوَلِي [3] ، ولا يَغْفُلُ عنِ العَدُوِّ ، ولاَ يَخُصُّ نَفْسَهُ دُونَ إخْوَانِه بِشَيْءٍ مِنَ اهْتِمَامِه وحِيلَتِه وقُوَّته .

فَعَلَيْكَ بِهَذِه الأخلاق إن أطَقْتَ – ولَنْ تُطِيقَ – ولَكِنَّ أخْذَ القَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الجَمِيعِ» .

التعريف بالكاتب :

هو عبد الله بن المقفّع ، فارسي الأصل ، ولد سنة ١٠٦هـ من أب مجوسي كان يعمل في دواوين الخراج للحجاج بن يوسف الثقفي ، ضربه الحجاج ضرباً مبرحاً تقفّعت منه يداه ، أي يبستا، فلُقب لهذا بالمقفع .

---

(١) بذّهم : غلبهم وفاقهم.

(٢) عادياً : واثباً.

(٣) الولي : الرفيق المحبّ.

عُني أبوه بتأديبه وتعليمه العربية ، واشتغل بالكتابة لبعض الولاة في الدولة الأموية ثم لبعض الولاة في الدولة العباسية . وكان نبيل الخلق ، يأخذ نفسه بخصال المروءة ، كما اشتهر بالسخاء . قيل له : مَنْ أدَّبك ؟ قال : نفسي ، إذا رأيت من غيري قبيحاً أبيته ، وإن رأيت حسناً أتيته .

مات مقتولاً لخلاف مع الخليفة المنصور سنة ١٤٥هـ بعد أن خلَّف آثاراً جليلة أهمها (الأدب الصغير) وهو وصايا خلقية واجتماعية ، و(الأدب الكبير) وهو يتناول أمر السياسة والصداقة ، و(كليلة ودمنة) وهو مجموعة قصص صيغت على ألسنة الحيوان للعظة والاعتبار بطريقة مشوِّقة .

ويُعَدُّ ابن المقفع رأس الطبقة الأولى من الكتاب في العصر العباسي ، وقد استخلص من الأسلوب الفارسي والعربي طريقة في الكتابة عُرفت به وأخِذت عنه .

التعليق :

ختم ابن المقفع كتاب (الأدب الكبير) بهذه القطعة التي يَصفُ فيها صاحبه ،ولعلَّها وصف عام لمن يراه المَثَلَ الأعلى في الخلق القويم ، ولذلك يجعله «من أعظم الناس في عينه» ثم بدأ يعلّل لهذا بذكر صفاته ، فمنها أنه غير مُتَكَالِب على الدنيا ، بل يعلو عليها ، لأنه عفيف النفس لا يبدو منه طمع أو جشع أو سوء خلق مما يجعله مُحْتَقَراً في نظر الناس، ومنها أنه لا تُسَيْطر عليه الرغائب الجسدية، وعبّر عن ذلك تعبيراً حسيًّا قويًّا بأن كنَّى عنها بالبطن ، وأنه ذو سلطان ، وفصَّل القول بأنه لا يشتهي ما لايجد ، وإذا وجد لا يكثر من المتاع .

وتناول اللسان الذي قد يسيطر على صاحبه أحياناً فيؤدِّي به إلى التَّهْلُكَة ، أما هو فيغلب هذا اللسان ويُلْجمه ويَكْبَحُ جِمَاحه لا يقول ما لايعلم ، ولا يجادل فيما يعلمه ، لأن فوق كلِّ ذي علم عليماً، فمهما عَلِمَ الإنسان فلا يجوز له الظنُّ بأنه أحاط بكل شيء علماً ، بل التواضع هو التَّاج الذي يجبُ أن يتحلَّى به الإنسان . وصاحبه بعيد عن الزجِّ بنفسه فيما لا يفيد . وهو لا يَظهر قويًّا في كل الأحوال ، بل في الوقت الذي يتحتَّم عليه النضال ، وكان من حَصَافَتِهِ أنه لا يدخل في جدال إلا إذا وجد مَنْ يُنصِفه على خصمه ومن يشهدون على تفوقه عليه ، وإلا فلا فائدة من الجدال ؛ لأن كلًّا من المتجادلَيِن سوف يتمسك برأيه ويظن أنه المصيب ، وكان لا يتعجَّل لومَ أحد من الناس حتى يتبيَّن له الأمر جليًّا ، وكأنه يعمل بقول الشاعر :

تـــأنَّ ولا تـــعْجَلْ بِلوْمٍ لِصَاحِبٍ　　لَـــعَلَّ له عُـذراً وأنـــتَ تَـــلُومُ

وإذا ما استمرت قراءتنا لهذا الوصف الرائع للصديق ، تبيَّنَّا تلك العقلية الحكيمة التي صاغت هذه الأوصاف ، وهي عقلية ابن المقفع الذي ذكر معاصروه أنه كان آية في البلاغة .

ومن خلال دراسة هذا النص وغيره من كتابات ابن المقفع نستطيع أن نتبيَّن الخصائص التالية لأسلوب ابن المقفع :

١- جزالة الألفاظ التي استخدمها مع سهولتها .

٢- عدم التجائه إلى حوشي الألفاظ أو مهجورها مما يحتاج فيه إلى تَصَفُّح المعاجم .

٣- الإيجاز ، فالمعاني تؤدَّى بأقلِّ قدر من الألفاظ دون أن تقصر عنها .

٤- المعاني تؤدى أداءً فصيحاً سلساً دون الالتجاء إلى السجع والازدواج .

٥- الاستعانة بألفاظ القرآن الكريم وأساليبه ، كما في غير هذا النص الذي ورد .

مناقشة

١- كيف تكونت ذخيرة ابن المقفع العلمية ؟ وما الصفات التي كان يتصف بها ؟

٢- أقارن بين كتاب الأدب الصغير وكتاب الأدب الكبير لابن المقفّع من حيث محتواهما ، وأذكر من أيهما هذا النص .

٣- (كَلِيلَة ودِمْنَة) مجموعة قصص ترجمها ابن المقفّع إلى العربية ، كيف صاغها ؟ وما الهدف منها ؟

٤- ما منزلة الصديق الذي جاء ذكره في النص عند ابن المقفع ؟

٥- كان ذلك الصديق هو المثل الأعلى في الخُلُق القويم . فما الصفات العامة التي اتصف بها ؟

٦- «تصغر الدنيا في عين الإنسان فيخرج من سلطان بطنه ومن سلطان نفسه» ، أشرح ذلك .

٧- «كان يُرى متضاعِفاً مستضعَفاً ، فإذا جاء الجد فهو الليث عادياً » يزداد المعنى وضوحاً بالتضاد والتقابل،كما أن التصوير يزيده جمالاً . أعيِّن كلا الأمرين في هذه العبارة .

٨- يكشف نصُّ ابن المقفع عن عقلية صاحبه ، وعن خصائص أسلوبه في الكتابة ، أوضّح ذلك .

٢- وصف الكتاب للجاحظ

النص :

«الكِتابُ نِعْمَ الذُّخْرُ والعُقْدَة [١] ونِعْمَ الجَلِيسُ والعُدَّة ، ونِعْمَ الأنيسُ لِساعَةِ الوَحْدَة . . والكِتَابُ وعَاءٌ مُلِيءَ عِلْماً ، وظَرْفٌ حُشِيَ ظَرْفاً ، وإناءٌ شُحِنَ مُزَاحاً وجِدًّا ، إنْ شئتَ كانَ أبْيَنَ مِنْ سَحْبان [٢] وَائل ، وإنْ شِئْتَ كانَ أعْيَا من بَاقِل [٣] وإنْ شِئْتَ ضَحِكْتَ مِنْ نَوَادِره ، وإنْ شِئْتَ عَجِبْتَ مِنْ غَرَائبِ فَرَائده ، وإنْ شِئْتَ ألْهَتْكَ طَرَائفُه ، وإنْ شِئْتَ أشْجَتْك [٤] مَوَاعظُه .

وبَعْدُ : فَمَتَى رَأيْتَ بُسْتَاناً يُحْمَلُ في رُدْن [٥] ورَوْضَةً تُقَلُّ في حِجْر ، ونَاطِقاً يَنْطِقُ عَنِ الموْتَى ، ويُتَرْجِمُ عَنِ الأحْيَاء ؟ ! وَمَنْ لَكَ بِمُؤنِس لا يَنَامُ إلاّ بِنَوْمِك ، ولا يَنْطِقُ إلا بِما تَهْوَى ؟ آمَنُ مِنَ الأرْضِ ، وأكْتَمُ للسِّرِّ مِنْ صَاحِبِ السِّرّ ، وأحْفَظُ لِلْوَدِيعَةِ مِنْ أرْبَابِ الوَدِيعَة . والكِتَابُ هُوَ الجَلِيسُ الذي لا يُطْرِيكَ [٦] والصَّدِيقُ الذي لا يَقْلِيك [٧] والرَّفِيقُ الذي لا يَمَلُّك ، والمُسْتَمِعُ الذي يَسْتَزِيدُك ، والجَارُ الذي لا يَسْتَبْطِئُك . والصَّاحِبُ الذي لا يُرِيدُ اسْتِخْرَاجَ مَا عِنْدَكَ بالمَلَقِ [٨] ولا يُعَامِلُكَ بالمَكرِ ، ولا يَخْدَعُكَ بالنِّفَاقِ» .

التعريف بالكاتب :

هو عمرو بن بَحْر الكِناني ، وُلِدَ في البصرة سنة ١٥٩هـ ، وقد لُقِّب بالجاحظ لجحوظ عينيه (أي بروزهما) . وكان دميمَ الهيئة ، بشعَ المنظر ، قصير القامة .

---

(١) العقدة : مافيه بلاغ الرجل وكفايته.
(٢) سحبان: اسم رجل من وائل ، يضرب به المثل في الفصاحة.
(٣) باقل: اسم رجل يضرب به المثل في العِيّ.
(٤) أشجتك : أحزنتك.
(٥) الرُّدن : مقدَّم كُمّ القميص.
(٦) يطريك : يثني عليك.
(٧) يقليك: يكرهُك.
(٨) الملق : الود واللطف وأن تعطي باللسان ما ليس في القلب .

مات أبوه فكفلته أمه ، واضطر لفقره أن يخوض مُعْتَرَك الحياة فيبيع الخبز والسمك .

وعلى الرغم من ذلك فقد منَّ الله عليه بقوَّة الحافظة ، ووفْرة الذكاء ، والرغبة الشديدة في اكتساب المعرفة ؛ ولذا كان يتردَّد على دكاكين الورَّاقين ، فينْهل منها في شتى صنوف العلم ، كما اتصل بكبار العلماء المعاصرين وأفاد منهم الشيء الكثير .

ظلّ الجاحظ في البصرة دهراً ، ثم رحل إلى بغداد وتصدَّر مجالس الأدب ، ثم عُيِّن رئيساً لديوان الرسائل ، ولكنه استعفى بعد ثلاثة أيام فأعفي . وظلَّ ذا منزلة أدبية عالية يهفو إلى مجالسة العامة والخاصة ، ويُقدِّر أدبه العلماء والأدباء حتى أصيب بالفالج ، ثم تُوفي بعد أن سقطت عليه مجموعة من المجلدات ٢٥٥ هـ .

ويعدُّ الجاحظ من أكبر الأدباء العرب الذين أغنوا المكتبة العربية بمؤلفاته المختلفة ، ومن أشهرها: البيان والتبيين ، والبخلاء ، والحيوان ، ومجموعة من الرسائل . وأدب الجاحظ مرآة صادقة لثقافته الواسعة التي شملت أغلب علوم عصره ، وشخصيته وما امتازت به من حسٍّ أدبي مُرْهَف ، جعلته يميل إلى نوع خاص من الأسلوب اشتهر به وهو يجمع بين التلوين العقلي لتنوُّع المعارف التي تناولها، والتلوين الموسيقي لميله إلى الازدواج بحيث تتوازن العبارات توازناً موسيقيًّا متلاحقاً .

التعليق :

في الجزء الأول من هذا النص يَصِفُ الجاحظ الكتابَ بأنه قد حَوَى الذخائر التي يحتاجها المرء، كما أنه جليس لايَمَلُّ، وقارىء الكتب يجد فيها مخْتَلِفَ المعارف ما بين جادٍّ مفيد وطريف ممتع ، منها المُطَوَّل ومنها المختصر، تضحك أحياناً بنوادرها ، وقد تثير العجب بما حَوَتْ من غرائب ، كما أنها لا تخلو من طرائفَ مسلِّية ، أو مواعظَ تثير الإشفاق والحزن .

وفي الجزء الثاني من النص نجد الكاتبَ يُبْدع في تصويره ؛ حيث يستثير عجبك من بستان أو روضة يَحْمِلُها الإنسان معه ، وهذا ما يحصل بحمل الكتاب ، كما أنك تجد فيه حديث أناس فارقوا الحياة ، وآخرين لا يزالون أحياء ولكن ليسوا أمامك ، ثم أنه يُسايرك فيما تحبُّ ، فلا ينام إلا حين تنام، ولا يذكر لك إلا ما تريد قراءته ، يحتفظ بما فيه من معلوماتٍ فلا تضيع .

والكتابُ جليس ليس كالبشر ؛ فهو لا يبالغ في مدحك أو يَنْفرُ منك ويعاديك، بل هو لا يترك صحبتك ، ولا يطالبك ، ولا يلومك إِن تركته فَتْرة ، كما لا يُلحُّ عليك بحاجة ، ولا يقابلك بِمَكْرٍ أو خديعة .

وعند التأمُّل في أسلوب هذا النص نَلْمَحُ فيه بَراعة الجاحظ في اختيار الألفاظ المناسبة للمعاني، الملائمة لموقعها في سياق الجملة والتعبير ، مع تركيزه على إشباع تلك المعاني والعناية بوضوح الدلالة، حتى جعله ذلك يلجأ إلى التكرار عن طريق الترادف كقوله : «.. بستاناً يُحمل في رُدْن ، وروضة تُقَلُّ في حجْر» مع ما نلحظه من جمال التصوير في هذه العبارة ، حيث أبرز الكتاب بصورة بستان أو روضة .

كما تجد اهتمام الجاحظ بتقطيع الجمل وجعلها قصيرة ، في الوقت الذي ترى فيه قدرته الفنية على توازن الجمل والفقرات ، مما يُحْدِث إيقاعاً صوتيًّا جميلاً دون لجوء إلى السجع أو ما يقاربه .



مناقشة

١- امتاز الجاحظ بالرغبة الشديدة في اكتساب المعرفة ، ما السُّبُل التي سلكها لتحقيق هذه الرغبة ؟

٢- علت منزلة الجاحظ الأدبيَّة عند معاصريه ؛ فما علامة ذلك ؟

٣- اشتهر الجاحظ بمؤلفات أدبيَّة عدة ؛ أذكر ثلاثة منها.

٤- شملت كتابات الجاحظ مختلف شؤون الحياة والثقافة ، فما الصفة التي يمكن أن نطلقها عليه ؟

٥- عُرِف الجاحظ بأسلوبه الخاص في الكتابة ؛ فما مميزات هذا الأسلوب ؟

٦- «.. بستاناً يحمل في ردن ، وروضة تقلّ في حجر» . في العبارة السابقة ترادف ، وفيها تصوير ، أوضح الأمرين ، وأذكر فائدة كلٍّ منهما .

٧- ظهرت قدرة الجاحظ الفنية في تقطيع الجمل وجعلها قصيرة ، وفي توازن الجمل والفقرات ، ما أثر ذلك على النص ؟ أمثّل لما أذكر .

٨- تميز الجاحظ بالدقة في اختيار الألفاظ الملائمة للمعاني دون استخدام ألفاظ عامة مثل قوله: «أَبْيَن من سحبان .. ضحكْتَ من نوادره» ، آتي من النص الذي درست بمثالين آخرين لذلك .

٤- من كتابة ابن العميد

النص :

يقول في إحدى رسائله إلى (ابن بَلْكَا) عندما أعلن عصيانه على رُكْن الدولة وكان والياً له :

«كتابي وأنَا مُتَأرْجِحٌ بَيْنَ طَمَعٍ فيك ، ويَأْسٍ مِنْك ، وإقْبَالٍ عَلَيْك ، وإعْرَاضٍ عَنْك ، فَإنَّك تُدلُّ بِسَابِقِ حُرْمة ، وتَـمُتُّ بِسَالِفِ خِدْمة ، أيْسَرُهُمَا يُوجِبُ حَقًّا ورِعَايَة ، ويَقْتَضِي مُحَافَظَةً وعنَايَة، ثم تُشْفِعُهَا بِحدَيثِ غُلُولٍ[1] وخِيَانة ، وتُتْبِعُهَا بآنَفٍ[2] خِلافٍ ومَعْصِيَة ، وأدْنَى ذَلك يُحْبطُ أعْمَالَكَ ، ويَـمْحَقُ مَا يُرْعَى لَك .

لا جَرَمَ أني وَقَفْتُ بين مَيْلٍ إليك ومَيْلٍ عليك ، أُقَدِّمُ رِجْلاً لِصَدِّك ، وأُؤَخِّرُ أخْرَى عَنْ قَصْدِك ، وأبْسُطُ يَداً لاصْطِلَامِك[3] واجْتِيَاحِك ، وأثْني ثَانيةً لاسْتِبْقَائك واصْطِلاحِك ، وأتوقَّفُ عِنِ امتِثَال بَعْضِ الأمورِ فيك ، ضَنًّا بالنِّعْمَة عِنْدَكَ ، ومَنَافَسَةً في الصَّنِيعَة لَدَيْك ، وتَأميلاً لفَيْئَتِك[4] وانْصِرَافِك ، ورَجاءً لمرَاجَعَتِكَ وانْعِطَافِك ، فَقَدْ يَغْرُبُ العَقْلُ ثم يؤوب ، ويَعْزُبُ اللبُّ ثُمَّ يَثُوب ، ويَذْهَبُ العَزْمُ ثم يَعُود ويَفْسُدُ الحَزْمُ ثم يَصْلُح ، ويضَاعُ الرأيُ ثم يُسْتَدْرَك ، ويَسْكَرُ المرءُ ثم يَصْحُو ، ويَكدُرُ الماءُ ثم يَصْفُو ، كلُّ ضِيقَة إلى رَخَاء ، وكلُّ غَمْرَة إلى جَلَاء» .

التعريف بالقائل :

هو أبو الفضل محمد بن الحسين العميد ، كان وزيراً لركن الدولة بن بويه ، ثم عضد الدولة بن بُوَيه ، وهو كاتب من الكتَّاب المعدودين في العصر العباسي وكان يقرِّب الأدباء ، ويبذل لهم العطاء، حتى مدحه كثير منهم مثل : المتنبي ، والصاحب ابن عبّاد ، توفي سنة ٣٦٠هـ .

---

(١) غلول : خيانة واختلاس. (٢) آنف : أشد.

(٣) الاصطلام : الاستئصال. (٤) فيئتك : عودتك.

التعليق :

يحاول الكاتب في هذه الرسالة استدراج المخاطب بها ليقلع عن عصيانه ، وذلك حين يوازن له بين حالين ملوّحاً له بأهمية العودة إلى سابق الطاعة ، فيذكر له أنه متردِّد بين أمرين ، فإمّا الرغبة فيه؛ لما سبق له من صحبة وذمّة لا يجوز انتهاكها ، أو ما قدّمه من خدمة توجب له الحق ، وإمّا الرغبة عنه لما أعقب ذلك من خيانة ومعصية أفسدت ماله من تلك الحقوق والرعاية ، ولذا لا يدري بأيّ الأمرين يأخذ ، فأصبح يقدِّم رجْلاً لتركه ، ويؤخِّر الأخرى لإبقاء الصلَة بينهما ، كما أنه يبسط يداً لمعاقبته ، ويَكُفُّ الأخرى لإصلاحه ورجوعه ، لعلَّ ما حصل له من المعروف والفضل يكون شفيعاً وسبباً في ترك العصيان والعودة إلى الطاعة والولاء . ولا غرابة في ذلك فقد يغيب الصواب عن العقل أحياناً ، ثم يهتدي فيستدرك ما فاته ، ويتضح ما الْتَبَس ، وتعود الحال إلى الرخاء بعد الضيق وتنكشف الشدّة .

وقد استطاع ابن العميد أن يصوّر في هذه الرسالة من الرسائل الديوانية حالين متقابلين: الرضا والسخط أو العقاب والعفو ، ويستمرُّ رَصد هذه الصور المتقابلة ، ويُلحُّ على هذه الموازنة ليصل إلى إقناع مخاطبه بفائدة العودة إلى سابق العهد والصِّلَة .

وإذا تأملت أسلوب ابن العميد في هذا الجزء من الرسالة وجدته يعتمد على الطباق والمقابلة مما يدل على عنايته بإبراز المعنى المراد ، وعلى السجع وهو توافق الفاصلة بين جملتين أو أكثر في الحروف الأخيرة مثل قوله :« أيسرهما يوجب حقًا ورعاية ، ويقتضي محافظة وعناية» ، وقوله : كل ضيقة إلى رخاء ، وكل غمرة إلى جلاء» ، والعبارات المسجوعة كما ترى قصيرة غالباً ، يتخلّلها الجناس ، فيتشابه اللفظان في النطق ، ويختلفان في المعنى كما في قوله : اصطلامك .. اصطلاحك » وقوله : «ويغرب .. يعزب ».

وباجتماع السجع مع الجناس ، وتوازن الجمل والفقرات يزداد الكلام جَرْساً ، وتتلاءم الجمل في إيقاعها وموسيقاها ، وهو نوع من التأنق والصناعة الفنية التي امتاز بها ابن العميد عمَّن سبقه ، وهذا لا يصرفه عن الاهتمام بالمعنى والعناية به كما مرَّ .

ونلحظ في الرسالة بعض الصور البلاغية التي أبرزت الشيء المعنوي بصورة حسية كقوله : « أقدم رجلاً لصدّك ، وأؤخر أخرى عن قصدك » يريد أنه لم يقطع بأحد الأمرين من الإقبال عليه أو

الإعراض عنه ، ومثله قوله : « أبسط يداً لاصطلامك .. وأثني ثانية لاستبقائك » ، أما في قوله « يذهب العزم ثم يعود » فقد جعل العزم كأنه شخص يذهب ثم يعود .

وهكذا تجد أسلوب الرسالة يقوم على السجع في الغالب ، والجناس أحياناً ، مع حرص الكاتب على أن يكون إيقاع العبارات وجرْس الألفاظ محسوساً ظاهراً ، دون إغفال لقيمة المعنى وأهميته ، وكذلك استخدامه الصور البلاغية .

وهذه القدرة الفنية البديعة جاءت نتيجة للبيئة الحضارية التي ازدهرت بألوان الترف والنعيم ، والاطلاع على الثقافات التي تهتمُّ بمحسنات اللفظ وزينته .

مناقشة

١- أكتب فكرة موجزة عن مضمون الرسالة ومناسبتها .

٢- حرص ابن العميد في هذه الرسالة على إقناع مخاطبه بأهمية العودة إلى سابق العهد والطاعة، فما وسيلة هذا الإقناع ؟

٣- تضمنت رسالة ابن العميد ثروة زخرفية ، ممَّ تكونت هذه الزخرفة ؟ وما أثرها على جَرْس الكلام وإيقاع الجمل ؟

٤- مما تميزت به الرسالة تصوير الشيء المعنوي بصورة محسوسة . أختار منها ما يؤيد هذا القول مع التوضيح .

٥- نلمس في هذا النص قدرة فنية بديعة تدل على تأثر الكاتب ببيئته ، أذكر بعض ملامح هذه البيئة.

٦- آتي مما ورد في الرسالة بأربع كلمات وأضدادها ، وأربعٍ أخرى ومرادفاتها.

٥- المقامة البغدادية لبديع الزمان الهمذاني

النص:

«حدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ : اشْتَهَيْتُ الأَزاذَ وأنا بِبَغْدَاذ[١]، ولَيْسَ مَعِي عَقْدٌ عَلَى نَقْد،[٢] فَخَرَجْتُ أَنْتَهِزُ مَحالَّهُ حَتَّى أحَلَّنِي الكَرْخ[٣] فإذا أنا بِسَوادِيٍّ[٤] يَسُوقُ بالجَهْدِ حِمَارَه، ويُطَرِّفُ بالعَقْدِ إِزَارَه[٥]، فقلت : ظَفِرْنَا واللَّهِ بِصَيْد ، وحَيَّاك اللَّهُ أبا زَيْد ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْت ؟ وأَيْنَ نَزَلْت ؟ وَمَتَى وَافَيْتَ؟[٦] وهَلُمَّ إِلَى البَيْت. فَقَالَ السَّوادِيُّ : لَسْتُ بِأبي زَيْد، ولَكنِّي أبو عُبَيْد. فَقُلْتُ: نَعَمْ ، لَعَنَ اللَّهُ الشَّيْطَان، وأَبْعَدَ النِّسْيان ، أَنْسَانِيكَ طُولُ العَهْد، واتِّصَالُ البُعْد[٧]، فَكَيْفَ حَالُ أبيك؟ أَشَابٌ كَعَهْدِي؟[٨] أم شَابَ بعْدِي ؟ فَقَالَ : قَدْ نَبَتَ الرَّبِيعُ عَلَى دِمْنَتِه[٩]، وأَرْجُو أَنْ يُصَيِّرَهُ اللهُ إِلى جَنَّتِه ، فَقُلْتُ : إِنَّا للَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، ولاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلا باللَّهُ العليِّ العَظِيم، ومَدَدْتُ يَدَ البِدَار[١٠] إلى الصِّدَار[١١] أُرِيدُ تَمْزِيقَهُ، فَقَبَضَ السَّوادِيُّ عَلَى خَصْرِي بِجُمْعِه[١٢]، وقالَ :نَشَدْتُك اللَّهَ لا مَزَّقْتَه، فَقُلْتُ: هَلُمَّ إلى البَيْتِ نُصِبْ غَداء، أو السُّوقِ نَشْتَرِي شِوَاء، والسُّوقُ أَقْرَب ، وطَعَامُه أَطْيَب، فاسْتَفَزَّتْه حُمَةُ القَرَم[١٣] وعَطَفَتْهُ عاطِفَةُ اللَّقَم[١٤]، وَطَمِعَ ،ولَمْ يَعْلَم أنَّه وَقَعَ، ثُمَّ أتَيْنا

---

(١) الأزاذ : من أجود أنوع التمور تشتهر به العراق . وبغداذ : اسم من أسماء بغداد.

(٢) النقد : المسكوك من الذهب والفضة، وفي العادة أن من معه النقد يعقد عليه وعاءه من كيس ونحوه ، فإذا انتفى العقد على النقد فقد انتفى النقد ، فالكلام كناية عن نفي النقد .

(٣) الكرخ : أحد أحياء بغداد.

(٤) السوادي : واحد من أهل سواد العراق أي الأرض الزراعية ويعني فلاحاً.

(٥) الأزار : لباس يشد من الوسط وينزل إلى أسفل الساقين .

(٦) وافيت : أتيت.

(٧) اتصال البعد : استمراره .

(٨) كعهدي : أي كعهدي به ومعرفتي له .

(٩) الدمنة : آثار الديار بعد خرابها والمعنى أن قبر والده قد نبت عليه الربيع فقد مات منذ عهد بعيد .

(١٠) البدار : المسارعة .

(١١) الصدار : قميص يغطي الصدر.

(١٢) جمع الكف : قبضته.

(١٣) الحمة : شدة الشيء . القرم : اشتداد الرغبة في أكل اللحم خاصة.

(١٤) اللقم :الأكل السريع .

شَوَّاءٌ يَتَقَاطَرُ شِواؤه عَرَقاً [١]، وتَتَسَايَلُ جُوَاذِبَاته [٢] مَرَقاً، فَقُلْتُ: افرزْ لأبي زَيْدٍ مِنْ هَذَا الشِّوَاءِ ثم زِنْ له مِنْ تِلْكَ الحَلْوَاء، واخْتَرْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الأَطْبَاق، وانْضِدْ عَلَيْهَا أَوْرَاق الرُّقَاق [٣]، ورُشَّ عَلَيْهِ شَيْئاً مِنَ السُّمَّاق [٤]، ليأكُلَهُ أبو زَيْدٍ هَنِيًا، فَانْحَنَى الشَّوَّاء بِسَاطُورِه، على زُبْدَةِ تَنُّورِه [٥] فَجَعَلَهَا كالكُحْلِ سَحْقاً، وكالطِّحْنِ دَقًّا، ثُمَّ جَلَسَ وجَلَسْتُ، ولا يَئِسَ ولاَ يَئِسْتُ [٦]، حتى اسْتَوْفَيْنَا [٧] وقُلْتُ لِصَاحِبِ الحَلْوَى:

زِنْ لأبي زَيْدٍ مِنَ اللُّوزِينَج [٨] رطْلَيْنِ، فَهو أجْرَى في الحُلُوق، وأمْضَى في العُرُوق، ولْيَكُنْ لَيْلِيَّ العُمْر [٩]، يَوْمِيَّ النَّشْر [١٠]، رَقيقَ القِشْر، كَثِيفَ الحَشْو، لُؤلؤيَّ الدُّهْن، كَوْكَبِيَّ اللَّون، يذُوبُ كالصَّمْغ قَبْلَ المضْغ، ليأكُلَه أبو زَيْدٍ هَنِيًا.

قَالَ: فَوَزَنَهُ ثم قعَدَ فَقَعَدْتُ، وجَرَّدَ وجَرَّدْتُ [١١]، حتَّى اسْتَوْفَيْنَاه؛ ثم قُلْتُ يا أبا زَيْدٍ ما أحْوَجَنَا إلى ماءٍ يُشَعْشَعُ [١٢] بالثَّلْج ليَقْمَعَ هذِهِ الصَّارَّة [١٣]، ويَفْثَأ [١٤] هذه اللُّقَمَ الحَارَّة، اجْلس يا أبا زَيْدٍ حتى نأتيَكَ بِسَقَّاء، يأتيكَ بِشَرْبَةِ مَاء، ثم خَرَجْتُ وجَلَسْتُ بِحَيْثُ أرَاهُ ولا يَرَاني؛ أنْظُرُ مَا يَصْنَعُ، فَلَمَّا أبْطأتُ عَلَيْهِ قَامَ السَّوادِيُّ إلى حِمَارِه، فاعْتَلَقَ [١٥] الشَّوَّاءُ بإزَارِه، وقال: أينَ ثَمَنُ مَا أكَلْت؟ فَقَال أبو زَيْدٍ: أكلْتُهُ ضَيْفاً، فَلَكَمهُ لَكْمَةً، وثَنَّى عَلَيْهِ بِلَطْمَة، ثُمَّ قَالَ

---

(١) العرق هنا: ما يتقاطر من الشواء من دهن بفعل النار.

(٢) الجواذبات: جمع جواذبة: وهي خبز في تنور وقد عُلّق فوق الخبز طائر أو لحم أو غيره يشوى فيقطر دسمه على الخبز فيغني عن الإدام.

(٣) الرقاق: خبز رقيق معروف يشبه في رقته رقة الورق.

(٤) السماق: حب أحمر صغير بالغ في الحموضة، وشجرة يشبه شجر الرمان يثمر في عناقيد تنتظم ذلك الحب.

(٥) التنور: موقد النار، وأضاف الزبدة إلى التنور لأنها من خصائصه ولوازم الأكل من شوائه وسحق الزبدة حتى جعلها كالكحل أو الدقيق ليسهل ذوبانها بسرعة.

(٦) لا يئس ولا يئست: يريد أن كلا منهما كان يطمع في إنفاذ مابين يديه.

(٧) استوفينا: فرغنا من الطعام.

(٨) اللوزينج: نوع من الحلوى يُصنع من نوع من الخبز ويُسقى بزيت اللوز ويُحشى بالجوز واللوز.

(٩) ليلي العمر: صنع بالليل.

(١٠) يومي النشر: نشر في مصنعه بالنهار فيكون قد نضج وسرت الحلاوة في جميع أجزائه.

(١١) جرد وجردت: أي جرد يده من ثيابه وفعلت مثله.

(١٢) يشعشع بالثلج: يمزج به.

(١٣) الصارة: العطش.

(١٤) يفثأ: يسكن ويهدىء.

(١٥) فاعتلق: أي تعلق.

الشَّوَّاء: هَاك (١) ومتى دَعَوْنَاك ؟

زِنْ يا أخَا القِحَة (٢) عِشْرِين ، فَجَعَلَ السَّوادِيُّ يَبْكي ويَحُلُّ عُقَدَه بأسْنَانِه(٣) ويقول : كَمْ قُلْتُ لذاك القُرَيْد (٤) أنا أبو عُبَيْد ، وَهوَ يَقُول : أنتَ أبو زَيْد ، فأنْشَدْت :

أعْـمِلْ لـرِزْقِـكَ كُـلَّ آلَـةْ ... لاَ تَـقْـعُـدَنَّ بـكُـلِّ حَـالَـةْ
وانْـهَـضْ بِـكُـلِّ عَـظِـيمَةٍ ... فَالْـمَـرْءُ يَـعْـجِـزُ لاَ مَحَـالَـةْ (٥)

التعريف بالقائل :

هو أبو الفضل ، أحمد بن الحسين ، ولقبه بَدِيعُ الزَّمان ، وُلِد سنة ٣٥٨هـ . كان نادرة في حفظه، وكان شاعراً وناثراً وكاتبَ مقامة وتعدّ المقامات هي أهمَ أعمالِه الفنية . وقد ظهر في فنه حبه الشديد للزخرف اللفظي والصنعة البديعية . توفي سنة ٣٩٨هـ .

التعليق :

إذا كان معظم مقامات بديع الزمان الهمذاني تدور حول الكُدْيَة (٦) فإن هذه المقامة تصوِّر سعة حيلة بطلها ، حين احتاج إلى طعام ولم تكن معه نقود ، واستطاع برغم ذلك أن يأكل حتى الشبع من جميع صنوف الأطعمة الفاخرة التي كانت تعرفها بغداد في عصره ، فقد احتال على هذا الفلاح المسكين واستضافه إلى طعام وهرب منه دون أن يدفع شيئاً ، وقد تحمَّل ذلك المسكين إلى جانب ما دفع

---

(١) هاك : أي خذ من اللكم واللطم كما تريد .

(٢) القحة : الوقاحة . ومعنى زن عشرين : أعط وزن عشرين درهماً .

(٣) عُقَدَه: أي عقد كيس نقوده ليخرج الدراهم.

(٤) القريد : تصغير قرد .

(٥) معنى البيتين : إذا كان لابد من أن يصل المرء إلى عجز عن العمل فعليه في زمن القدرة أن ينهض إلى العظائم فينالها ويستوفي حظه منها قبل أن يدركه العجز ويحوطه الحرمان .

(٦) الكدية : الشحاذة .

سيلاً من اللكمات نزلت على أمِّ رأسه من صاحب المطعم .

وتصوِّر المقامة جانباً من الحياة الاجتماعية في بغداد ، مثل سذاجة بعض أهل القرى المحيطة بها من طبقة المزارعين ، واحتيال المحتالين عليهم كما يحدث أحياناً في العصر الحديث ، كما تصورّ بعض أصناف الأطعمة المعروفة في هذا العصر ، ويغلب عليها الأطعمة الفارسية التي أحبّها العرب وشُغفوا بها .

أما من الناحية الفنية فربما كانت هذه المقامة أقرب في بنائها الفني من بعض المقامات الأخرى إلى القصة القصيرة بشكلها الحديث ، فهي تدور حول حدث واحد ذي بطلين اثنين لا غير ، وينتهي بالنهاية التي يؤدي إليها تسلسل الأحداث الصغيرة حين هرب المحتال وتحمّل القروي الضرب ودفع ثمن ما أكله المحتال ، وهي اللحظة التي يطلق عليها في فن القصة القصيرة (لحظة التنوير) وإن كانت في هذه المقامة أقرب إلى النادرة منها إلى القصة .

غير أنَّ المقامة لم تخرج بعد ذلك عن هدفها التعليمي في صياغتها ، وأسلوبها ومفرداتها وتشبيهاتها، وهي الأشياء التي يهدف إليها كاتب المقامة أولاً . على الرغم مما تضمنته من احتيال غير سائغ في الوصول إلى الرزق . ولك أن تعود إلى حديثنا السابق عن فن المقامات لتتبين الأسلوب الذي اعتمد عليه بديع الزمان في صياغة مقاماته .

مناقشة

١- ما موضوع مقامات بديع الزمان الهمذاني ؟ ما الهدف من كتابتها ؟

٢- تَعْرِض هذه المقامة مثالاً من الحيل ، فما الدافع لهذه الحيلة ؟ أذكر رأيي في هذا التصرف، مع التعليل .

٣- في المقامة تصوير لجوانب من الحياة الاجتماعية في بغداد حينذاك ، فما الصور التي نلمحها عن هذه الحياة ؟

٤- ماذا نلحظ في أسلوب بديع الزمان في هذه المقامة من حيث:

أ- استخدام السجع والزخارف اللفظية ؟

ب- إيراد الكلمات الغريبة ؟ أدلل على ما أقول.

٥-« أعمِلْ لرزقك كل آلة » ؛ أوضح رأيي في هذا القول على ضوء سلوك عيسى بن هشام مع السوادي .

٦- إلى أيِّ مدى برع الهمذاني في تصوير شخصيات مقامته ؟

٧- هل نجد في المقامة ما يدل على امتزاج الثقافات ؟ أبيِّن ذلك .

والحمد لله أولاً وآخراً

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.